

# دور الغزالي في فن الفكر

تأليف

الدكتور حسن الفاتح قريب الله

١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

مطبعة الأمانة  
٣ شارع جديدة بدران شبرا - مصر



# دور الغرب إلى فن الفكر

تأليف

الدكتور حسن الفلاح قريب الله

عميد كلية الآداب ( حاليا )

وعميد الطلاب ورئيس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية  
ومدير جامعة أم درمان الإسلامية بالانابة ( سابقا )

١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م

مطبعة الانسانية

٣ مشايخ جندبيرة بيدوان متسبها - مصر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى ، وصلاة وسلام على حبيبه المصطفى ،  
وعلى آله ، وأصحابه ، وأتباعه ، الذين اصطفى



## مقدمة

الغزالي شخصية فذة وعبقريّة شائعة ؛ درس العلوم من صغره وكان عنده شغف في الاطلاع عليها والإلمام بها ، ولذا بلغ الغاية في معظم العلوم التي كانت شائعة في عصره وإذا ذكر أى مفكر في الشرق أو الغرب لوجدنا أنه اشتهر بعلم واحد من العلوم ، أما إذا ذكر الغزالي لسكنا أمام جبل شامخ وشخصيات متعددة ومواهب عظيمة في شتى العلوم والمعارف .

فقد كان نابغة زمانه في الفقه الشافعي حتى صار إماما مجتهدا ، وله فتاوى تدل على فهم عميق للأصول والطرق الاستنباط .

وكان أوحده عصره في علم الكلام ، فقد كان متكلما أشعريا حذق فن المناظرة والجدل وناظر علماء الفرق المخالفة للأشعري فأخفهم وانتصر عليهم وانتصرت طريقة الأشعري بقوة جدله وعلو كعبه في فن المناظرة وله مؤلفات في علم الكلام إلا زالت تعد من المراجع المهمة إلى اليوم .

وكان منطقها فذا حاذقا درس المنطق وله فيه تصانيف مفيدة سهلت على دارس هذا العلم فهم مسائله ومعضلاته وكان ينتصر للمنطق حتى أثر عنه « من لا معرفة له بالمنطق فلا يوثق بعلمه » وكان مفسرا ألعيا يفوص على المعاني الدقيقة فيخرجها فتظهر على يديه جواهر ناصعة تحلب الأبواب ، وكان فيلسوفا ماهرا درس الفلسفة وأتى على دقائقها

ففيها وتعمقا في أقل من ثلاث سنين وعرف لها محاسنها ومساوئها فمدح محاسنها وعاب مساوئها وأبان تهاافتها بكتابه تهاافت الفلاسفة حتى عده المفكرون من كبار الفلاسفة من أجل هذا السكتاب ؛ لأنه انتقد فيه الفلاسفة ببضاعتهم وحاربهم بأسلحتهم .

وكان متصوفا رقيق القلب غزير العلم درس التصوف النظري من كتب المحاسبي والجنيد وغيرهم حتى بلغ فيه الغاية ، ثم تقلب في مقامات التصوف وأحواله سالكا الطريق إلى ربه حتى بلغ درجة المعرفة والكشف وانكشفت له حقائق يضيق عنها نطاق النطق ، كما قال ، ولم يكتف الغزالي بتبجيره في هذه العلوم الكثيرة فقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبه وديدنه من الصغر فخاض أيضا في علم الحرف وأسرار الروحانيات وخواص الأعداد ، وألف فيه كتابا يسمى بالأوفاق .

فنحن إذن أمام عبقرية فذة ، ومواهب متعددة ، من الناحية العلمية والعقلية .

فلا يأخذنا العجب إذا رأينا له تأثيراً قوياً على ثقافة العالم وبصمات قوية واضحة على الفكر الإنساني .

فقد أثر الغزالي بمواهبه المتعددة على مفكرى الشرق والغرب على السواء الذين جاءوا من بعده . قال عبد الرحمن بدوي في مقدمة كتابه مؤلفات الغزالي « الغزالي — كآرسطو — من أعلام الفكر الإنساني ، الذين بلغوا في حياتهم ، ومن بعد وفاتهم ، أرفع مكانة



بين الناس » وقد صدق فيما قال فالغزالي من أعلام الفكر العالمي، ولهذا اخترت عنوان الكتاب الذي أقامه للقراء الآن « دور الغزالي في الفكر » وهو عنوان يطابق ما يشتمل عليه الكتاب تمام المطابقة، والمطالع لصفحات هذا الكتاب سيجد مصداقا لما أقول من الأعداد الضخمة من الكتب التي ألفها الغزالي أو التي ألقت عنه أو السكتب التي ألفها أصحابها لشرح كتب الغزالي، أو لبيان مقاصده في كتبه أو لنقد الأفكار التي أوردها في كتبه والرد عليها .

وسيجد المطالع لهذا الكتاب تأثير الغزالي على الفكر الإسلامي والفكر الإنساني والعالمي، واضحاً وضح الشمس في رابعة النهار .  
فقد كان دوره في الفكر الإسلامي عظيماً ورائعاً أثرى فيه الفكر الإسلامي بقصائيف دقيقة فيها من الأفكار العميقة ما جعله يأخذ مكاناً مرموقاً في الفكر العالمي .

أما تأثيره في الفكر العالمي فيتبين من عدد كتبه التي ترجمت إلى لغات العالم الحية وأثرت في مفكرين تأثيراً عميقاً . ويكفي أن نلقي نظرة على أسماء علماء الغرب ومفكريه الذين شغلوا أنفسهم بترجمة كتب الغزالي إلى لغاتهم والتعليق عليها، فنذكر بعض الذين ورد ذكرهم في ثنايا هذا الكتاب وهم : ماكدونالد ، وجولدسبير ، وجيردز الذي ترجم مشكاة الأنوار ، وماسينيوس وآسين بلسيوس وغيرهم كثيرون .

ويكفي لمعرفة أثر فكر الغزالي على الفكر العالمي أن كثيراً

— ٨ —

من الباحثين في الشرق والغرب على السواء يقارنون في أبحاثهم بين  
ديكارت والغزالي في الشك مثلاً ، وبين الغزالي والفيلسوف الفرنسي  
« باسكال » في الإلهيات ، وبين كانط والغزالي في نقد العقل النظري  
والعملي على السواء .

وأرجو أن يكون في هذا الكتاب الذي أقدمه بين يدي القارئ  
شفاء الغليل لكل ما يبحث عنه من دور الغزالي في الفكر الإسلامي  
والعالمى .

والله أسأل أن يهدينا جميعاً لما فيه الحق والصواب ؟

د . حسن الفانج قريب الله

أم درمان في ١٥ يوليو سنة ١٩٧٨ م

## الفصل الأول

### عصر الغزالي

#### ١ - السياسي

كان الغزالي يعمل في جو سياسي مضطرب؛ إذ كان هناك الخليفة الذي لا يملك في الحكم إلا الخطابة باسمه على المنابر<sup>(١)</sup> وإلى جانبه السلطان السلجوقي الذي يسيطر هو أو وزراؤه على الجيش والسياسة<sup>(٢)</sup> في يدهم القدرة لا على تنفيذ قراراتهم فحسب بل على عزل الخليفة إن شاءوا<sup>(٣)</sup>.

وكان معاصرو الغزالي من الخلفاء المقتدى بالله (٤٨٧ هـ) ثم المستظهر بالله (٥١٢ هـ).

ومعاصروه من السلاطين عضد الدولة ابن ارسلان (٦٥٥ هـ) وجلال الدين ملكشاه (٢٨٥ هـ) ناصر الدين محمود (٤٨٧ هـ) ركن الدين أبو المظفر بركياردوق (٤٩٨ هـ) ركن الدين ملكشاه الثاني (٤٩٨ هـ) محمد بن ملكشاه (٥١١ هـ)<sup>(٤)</sup>:

وكان بعض هؤلاء السلاطين الذين عاصروهم الغزالي قد تغلب عليهم

---

(١) ابن خلدون : العبر ج ٣ الصفحات ٢٨٠ — ٢٨٢ ، (٤٠١، ٤٨٠) سيرة الغزالي للعثمان وعبد اللطيف الطيار — التصوف الإسلامي العربي ص ٤٣

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٢ ص ٤٧٨

(٣) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٧٦ ؛ ٣٧٧

(٤) العثمان : سيرة الغزالي المقدمة ص ٢٥ — ٢٦

وزراؤهم فأصبحوا كالخلفاء ، ألعوبة في أيديهم ، لا يملكون حلاً ولا ربطاً<sup>(١)</sup> .

ولعل أشهر هؤلاء الوزراء وأكثرهم نفوذاً وذيو عصبية هو الوزير نظام الملك ( قتل سنة ٤٨٥ ) الذي لم يقنع بأن يستأثر هو وأولاده بالسلطة بل حملته الدالة على أن يمتن على السلطان قاتلاً له : إن دواتي ممتزجة بتاجك فتى رفعتها ورفع ومتى سلبتها سلب<sup>(٢)</sup> غير أن هذا الوزير لم يلبث أن اغتيل بيد أحد الباطنية ، فلم يخلفه من أولاده من بلغ في العظمة مبلغه<sup>(٣)</sup> .

وقد كان اغتيال هذا الوزير فاتحة اغتيلات كثيرة قام بها الباطنية للتخلص من أعدائهم في مختلف الأقطار الإسلامية<sup>(٤)</sup> مما فرض جواً إرهابياً عاماً لم يأمن خاصة الناس فيه بل عانتهم على حياتهم ؛ وقد انقسم الناس بفعل هذا الجو فريقين :

( أ ) فريق جاهرهم بالعداء فلم يعد يحسر ولو كان أميراً على الخروح من منزله حاسراً بل كان يلبس تحت ثيابه درعاً .

( ب ) فريق سالمهم فلم يعد يأمن أن ينسبه الآخرون إلى الارتكاس

(١) ابن خلدون : العبر ج ٥ ص ١٣ و ج ٣ ص ٤٧٨ وابن العماد : شذرات الذهب ج ٣ الصفحات ٣٧٣ - ٣٧٧ وابن الجوزي : المنتظم ج ٩ صفحات ٦٢ - ٦٨ - وتواريخ آل سلجوق الصفحات ٥٥ - ٦٠

(٢) زكي مبارك : الاختلاف ص ١٨

(٣) السبكي : طبقات الشافعية

(٤) ابن خلدون : العبر ومحمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٦٣

في عتميدته . وعلى هذا فقد كان الناس من الباطنية على خطر عظيم ؛  
سالموهم أو عادوهم .

وقد كانت لهؤلاء الباطنية دولة بمصر عرفت باسم الدولة الفاطمية  
عاصر الغزالي من خلفائها المستعلي بالله الذي لم يعترف به الحسن  
ابن الصباح ( ٤٣٠ هـ ) فأعلن الولاء لأخيه زار ، وعاصر من حكمها  
كذلك الأمر بأحكام الله على بن المنصور بن المستعلي ( ٤٩٠ هـ - ١٠٩٧ م  
وتوفي ٥٢٤ هـ - ١١٣٠ م ) وعاصر من حكم الولايات الإسلامية  
المغربية يوسف بن ناشفين توفي سنة ( ٥٥٠ هـ - ١٠٦ م ) وابنه من  
بعده ، كما شهد أو سمع بالغزو الصليبي الذي استغل خلافت المسلمين  
فأسس عدة امارات سميت بالأمارات اللاتينية نسبة إلى الأجناس  
التي كان يتألف منها حملة الصليب (١) :

## ٢ - البيئة الاجتماعية

لم يكن مستغربا ، والحالة السياسية كما وصفنا ، أن تنعكس آثارها  
على المجتمع فتفسد أخلاق الأفراد (٢) ، وتتناقم الفتن بين الجماعات :

(١) العثمان : سيرة الغزالي ص ٢٨ ومحمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية  
ص ٦٤ وتواريخ آل سلجوق للأصفهاني .

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ٤٧٧ و ص ٥٣٢ - ٥٣٨ وابن الجوزي  
المنتظم ج ٩ وابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٢١٨ - ٢١٩ والغزالي : الاحياء  
ج ٢ ص ٣٢٧ - ٣٥٦ والغزالي : بداية الهداية والكفاية شرح البداية للملكي  
ص ١٥٠ - ١٥١ ( مخطوط بالمتحف البريطاني )

الاشاعرة يكفرون ويزندقون الشيعة من جانب<sup>(١)</sup> والمعتزلة<sup>(٢)</sup> والفلاسفة<sup>(٣)</sup> من جانب آخر . ويسكفر أو يزندق الحنابلة الشافعية من جانب وسائر أتباع المذاهب الأخرى من جانب آخر<sup>(٤)</sup> ، وقد كادت أحيانا تتبع التكفير خسارات مادية ودموية : بعضها بتشجيع الحكام والبعض الآخر بتشجيع الجو العام<sup>(٥)</sup> ، ولم يكن وقتها يأمن العالم بحلى نفسه من أن يتهم بالميل إلى الباطنية فيقتل<sup>(٦)</sup> وبالتبعية لمذهب خاص فيعاقب بالحبس<sup>(٧)</sup> أو بالطرد<sup>(٨)</sup> أو بالرجم<sup>(٩)</sup>

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ ص ٢٦ - ٢٧ ، ٢٩ ، ١٧ ، ٨٩ - ٩٠  
وابن خلدون : العبر ج ٢ ص ٤٧٧ وص ٥٣٢ - ٥٣٨  
وابن العماد : شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٧٩ - ١٨٦  
وأبو شامة : تراجم رجال القرنين ص ١٦  
(٢) الجوزي : المنتظم ص ٨٩ ، ٩٠ وابن العماد : شذرات الذهب ص ٢٢١ - ٢٢٣

(٣) زكي مبارك : الاخلاق عند الغزالي .  
(٤) البغدادي : تواريخ آل سلجوق ص ٣٢ - ٥٣ وابن خلدون . العبر ج ٣ ص ٥٣٢ - ٤٧٣ وابن الجوزي المنتظم ج ٩ ص ٣ ، ٤ ، ٩٣ ، ٨٩ - ٩٠ وشذرات الذهب ج ٣ ص ٣٥٣ وج ٤ ص ١٤ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٢٤ ، وأبو شامة : تراجم رجال القرنين ص ١٨ - ١٩ والمسبكي ج ٤ ص ٩٤ - ٩٥ (٥) راجع كل المراجع المذكورة سابقا .

(٦) ابن تيمري : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣٥٦ - ٣٥٧

(٧) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٤ ص ١١٨

(٨) ابن العماد . شذرات الذهب ج ٤ ص ١١٨

(٩) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ ص ٣ ، ٤

أو بالصلب أو القتل<sup>(١)</sup> أو على الأقل المهجر ، حتى لقد يلزم بيته ربمة<sup>(٢)</sup> .  
خسین عاماً لا یجروا علی الظهور<sup>(٣)</sup> .

وكانت بغداد على الأخص مركزاً لمعظم المشاحنات والنزاعات  
مما زهد الغزالي فيها فسلق طوائفها وأفرادها بلسان حاد ، مثله في كل  
مثل ابن جبير (٥٤٠-٦١٤) وابن خلدون (٨٠٨٠) :

### ٣ - البيئة العلمية :

لئن كانت المطامع السياسية قد أنتجت من الخلافات ما ذكرنا فقد  
نضجت الثمار العلمية في ذلك العصر بفعل التنافس والتباري الذي ساد  
الإمارات الإسلامية المختلفة<sup>(٤)</sup> .

ففي بغداد وغيرها من المدن الخاضعة للسلطان تبنى الوزير نظام الملك  
- بمساعدة الخلافة - المذهب الشافعي والسني وأنشأ لتدريسهما المدارس  
المختلفة في بغداد وبلخ ونيسابور وهرأة واصبهان والبصرة ومرو  
وأهل وطبرستان والموصل ، بل يقال إن له بكل مدينة بالعراق وخراسان  
مدرسة تحمل لقبه وأودع هذه المدارس نفائس الكتبة ، وكان يشترط  
في بعض المدارس أنها وقف على أصحاب الشافعي أصلاً وفرعاً ، وكذلك

(١) ابن خلدون : العبر ج ٥ ص ٨٤

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ ص ١٠٢

(٣) أحـمـ : أمين : ظهر الإسلام ج ٩ ص ٢ وابن العماد : شذرات الذهب

ج ٣ ص ٣٧٣ - ٣٧٥ وج ٤ ص ٣٢١ - ٣٢٣ والدكتور عبد الوهاب  
عزام : سوانح أحمد الغزالي - مجلة كلية الآداب العدد الثامن المجلد الثاني

ديسمبر ١٩٤٦ مطبعة جامعة فواد الأول ١٩٤٧

الأُملاك الموقوفة عليها شرط فيها أن تكون على أصحاب الشافعي أصلاً  
وفرعاً وكذلك شرط في المدرس الذي يكون بها والواعظ الذي يعظ بها  
ومتولى الكتب وشرط أن يكون فيها مقرئ يقرأ القرآن ، ونحوه  
يدرس العربية ، وفرض لكل قسماً من الوقف<sup>(١)</sup> .

واقترح بنظام الملك في ذلك آخرون فبنى شرف الملك مدرسة  
للحنفية على ضريح أبي حنيفة بباب الطاق سنة ٤٥٦<sup>(٢)</sup> وبني غيره  
مدارس<sup>(٣)</sup> ومكتبات<sup>(٤)</sup> خاصة حتى ليقول ابن جبير إن المدارس بمغداد  
وحدها بلغت نحو الثلاثين وما من مدرسة إلا ويقصر القصر البديع  
عنها ويقول : وهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبسة تنصير إلى  
القهاء المدرسين بها ويمجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم<sup>(٥)</sup>

وكثيراً ما كانت تعقد حلقات النقاش بين أصحاب المذاهب المختلفة  
من جانب<sup>(٦)</sup> وبين الباطنية الذين نشطوا في إرسال الدعاة لمذهبهم من  
جانب آخر<sup>(٧)</sup> .

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ ص ٦٥ - ٦٦

(٢) البغدادي : تواريخ آل سلجوق ج ١ ص ٣٢

(٣) السبكي : طبقات للشافعية ج ٤ ص ٥٧ - ٥٨

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ ص ٤٢ - ٤٣

(٥) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٩٢٩

(٦) محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية ص ٧٧ .

(٧) السبكي : الطبقات ج ٥ ص ١٦٩ ومحمد كامل : طائفة الإسماعيلية



كما تؤلف السكتب في نصره هؤلاء أو أولئك<sup>(١)</sup> كما كانت هناك مجالس العلم ومجالس الوعظ والتصوف التي بلغ طولها مائة وسبعين ذراعاً وعرضها مائة وعشرين ذراعاً. هذا من الرجال أما النساء فكانت المساحة التي شغلها أكثر من ذلك<sup>(٢)</sup>.

هذا ولم تخل البلاد الإسلامية بالطبع من أدياء ومنتهفين في كل ميدان استغل بعضهم تأييد الدولة لمذهب فاعلن الانضمام إليه، وكرهية الناس لمذهب فاعلن حربه عليه<sup>(٣)</sup> كما استغل آخرون سذاجة الناس فادعى المهدي والتنبؤ بالغيب، وغير ذلك من الدعاوى الطويلة المريضة<sup>(٤)</sup>.

وكان العلماء موضع احترام الخاصة والعامة حينما حلوا وأينما ارتحلوا<sup>(٥)</sup> حتى لقد عوتب بعض الوزراء على اشتغاله بالعلماء أكثر من اشتغاله بأمور الدولة غير أنه أجاب بأن هذه الطائفة هم أركان

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ ص ٧٥ - ٧٦ وابن خثري : المجموع الزاهرة ج ٢ ص ٢٨٥ وتواريخ آل سلجوق ص ٥٢ - ٥٣ وشذرات الذهب ج ٣ ص ٣٤٩ - ٣٥٣ - ٣١٩ - ٣٢١.

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٤٨.

(٣) الغزالي : الاحياء ج ٣ ص ٢٣٤ فما بعدها وابن الجوزي : المنتظم

ج ٩ ص ٥٣ ، ٥٨ وابن شاكر : فوات الوفيات ج ١ ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٤) أحمد أمين : ظهر الاسلام ج ٢ ص ٣ وزكي مبارك : الاخلاق

والمنتظم ج ٩ ص ٩٣ .

(٥) المرجع السابق .

الإسلام وهم جمال الدنيا والآخرة ولو أجلس كل منهم على رأي  
لاستقبلت لهم ذلك<sup>(١)</sup>.

وقد كان من المؤلف ألايت في رأي إلا إذا استفسر فيه عالم<sup>(٢)</sup>  
وإذا أيت تعيين خليفة أو سلطان إلا إذا حضر المجلس واحد منهم<sup>(٣)</sup>  
وقد كان لبعض هؤلاء نفوذ وحي على الوزراء<sup>(٤)</sup> والأمراء<sup>(٥)</sup>.  
وما يذكر في هذا الشأن أن أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين لم يحرق  
كتب الغزالي إلا بفقوى المالكية في بلاده.

إذ كان كما يقول ابن الأثير: يميل إلى أهل العلم والدين ويكرمهم  
في بلاده ويحكمهم ويصدر عن رأيهم<sup>(٦)</sup>.

هذا وقد كان الجميع بالرغم من انصرافهم للعلم يهتمون أعظم  
جانب فيه وهو جانب العمل مما حدا بالغزالي أن يشن على جميع  
الطوائف هجوما عنيفا من غير استثناء غير فيه عن استيائه لأن يبيع  
الناس خاصتهم وعامتهم الحياة الباقية بالحياة الفانية<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص ٦٤ - ٦٨ .

(٢) ابن العماد: شذرات الذهب ج ٣ ص ١٢٤ وابن خلدون العبر ج ٥

ص ١٣ والمنتظم ج ٩ ص ٦٢ - ٦٣ .

(٣) ابن خلدون: العبر ج ٣ ص ٤٧٢ .

(٤) ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص ٦٤ - ٦٨ .

(٥) ابن العماد: شذرات الذهب ج ٣ ص ١٢٤ - ١٣٠ والعبر ج ٣

ص ٤٩٣ ، ٤٧٨ .

(٦) ابن العماد: شذرات الذهب ج ٣ ص ١٢٤ - ١٣٠ .

(٧) الغزالي: رسالة أيها الولد .

## حياة الغزالي

ولد الغزالي من أسرة عرفت بالعلم والاقبال عليه والرغبة في تحصيله ونشره فقد كان :

(أ) عمه ( عم أبيه أخو جده أو أخو أبيه ) أبو حامد أحمد بن محمد الغزالي المشهور بالغزالي الكبير أو القديم أو الماضي — علما أذعن له فقهاء الفريقين وأقر بفضل فضلاء المشرقين والمغربين إن حاور العلماء كان المقدم وإن ناظر الخوصوم كان الفحل المكرم. له في الخلافات والجدل وروءوس المسائل والمذاهب تصانيف<sup>(١)</sup>.

(ب) وأخوه أبو الفتوح مجد الدين أحمد بن محمد الغزالي كان من فقهاء الشافعية وعلمائهم فقد تولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد أثر مفارقة أخيه محمد لها<sup>(٢)</sup> وله من الكتب :

١ — الذخيرة في علم البصيرة والكتاب يتضح من عنوانه أنه

(١) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٣٥ — ٣٦ وراجع ما التقاه ابن الصلاح من كتاب المذهب في ذكر شيوخ المذهب ، والانساب للسمعاني وراجع تعليقه . الامام محمد بن يحيى صاحب الغزالي في الزكاة في مسألة التلّف بعد التمكن و توفيق الصباغ في مقدمته لرسالة أمها الولد للغزالي .

(٢) الدكتور عبد الوهاب عزام بك : سوانح أحمد الغزالي مجلة كلية الآداب العدد الثامن ديسمبر سنة ١٩٤٦ مطبعة جامعة فؤاد الاول سنة ١٩٤٧ ص ٢ والذهبي سير الاعلام النبلاء مخطوط نشر جزءاً منه الدكتور عبد الكريم العثماني في كتابه سيرة الغزالي ص ٦٩ .

( ٢ - الغزالي )

خاص بالتصوف وقد جمع فيه صاحبه ما فرقه أخوه أبو حامد في تصانيفه الكثيرة من العلوم وحصرها في أربعة أصول :

- ١ — في معرفة النفس .
- ٢ — في معرفة الرب .
- ٣ — في معرفة الدنيا .
- ٤ — في معرفة الآخرة<sup>(١)</sup> .

٢ — لباب الاحياء وقد اختصر فيه صاحبه كتاب أخيه محمد الغزالي لإحياء علوم الدين<sup>(٢)</sup> وطبع الكتاب في سنة ١٣٩٨ هـ .

٣ — سوانح العشاق<sup>(٣)</sup> وهو كتاب باللغة الفارسية تحدث فيه عن حقائق العشق وأحواله وأغراضه وقد طبع هذا الكتاب في أسطنبول<sup>(٤)</sup> .

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ج ١ ص ٨٢٥ .

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون . ج ١ ص ٢٤ : السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ ص ٤٤ — ٥٥ .

(٣) حاجي خليفة : كشف الظنون : ج ٢ ص ١٠٠٩ وقد كتب الدكتور عبد الوهاب عزام مقاله عن الكتاب المذكور سماها سوانح أحمد الغزالي ونقع المقالة في أربعة عشر صفحة إلا أن معظمها مختارات ونقول من الكتاب المذكور .

(٤) طبعه الاستاذ المحقق الدكتور ريتز وكتب له مقدمة قصيرة ترجمها عن الألمانية إلى العربية الدكتور فؤاد حسنين راجع ص ١٣ سوانح الغزالي .

وكان أحمد المذكور ( من أحسن الناس كلاماً في الوعظ وأرشقهم عبارة ، مليح التصرف فيما يورده من الاستشهاد ، أظرف أهل زمانه وألطفهم طبعاً . خام الصوفية في عنفوان شبابه ويحب المشايخ واختار الخلوة والعزلة حتى انفتح له الكلام ، ومالت إليه قلوب الناس وأحبوه )<sup>(١)</sup> .

( ج ) وأبوه محمد بن محمد الغزالي وإن لم يكن يساوي همه المذكور في التحصيل العلمي إلا أن رغبته في العلم لا تقل عن رغبة الغزالي الكبير . فقد عرف عنه حرصه على حضور مجالس الوعظ والعلم واصفاؤه لما يسمع بعناية قد تحدث في القلب رقة يعقبها بكاء فدعاء بأن يرزق الله ولديه من العلم مثل ما يسمع من هؤلاء الذين أعجب بهم .

وأهل من آيات ذلك أن وفر قبل وفاته مالا أودعه عند صاحب له صوفي قائلاً له : ( إن لي لتأسفا عظيما على تعلم الخط وأشتهى استدراك ما فاتني في ولدي هذين فعلمهما ولا عليك أن تنفذ في ذلك جميع ما أخلفته لهما ) .

ومات الوالد الحريص على العلم<sup>(٢)</sup> وبعد مدة فني ما خلفه لولديه من مال وكان الصوفي من الفقر بحيث لم يستطع مواصلة الغزالي وأخيه أحمد فاوصاهما بأن يلجأ إلى مدرسة ليحصل لهما بطلب العلم قوت يعينهما على الدراسة .

(١) ابن النجار : تاريخ بغداد ، السبكي طبقات الشافعية .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية .

وذهب الغزالي وأخوه للمدرسة تحذوها الرغبة في تحصيل القوت قبل الرغبة في تحصيل العلم أو قل إن تحصيل القوت كان يشغل بالهما أكثر من تحصيل العلم وبانتظامهما في المدرسة وسط مجموعة الراغبين من الشباب والشيوخ بدأت الرغبة في العلم للعلم تأخذ مكانا ساميا من قلوبهما ثم لم تايث هذه الرغبة أن فعلت فعلها فالتفتا التفاتا تاما للعلم ولما كان الغزالي من أذكىء الطلاب فقد كثر محصوله العلمى وغزرت حتى أن زملاءه أنفسهم كانوا يدرسون عليه بعد دراستهم معاً على شيخ واحد<sup>(١)</sup>.

بدأ الغزالي تعليمه على أحمد بن محمد الرازكاني<sup>(٢)</sup> في طوس ثم على الشيخ اسماعيل بن سعدة الاسماعيلي في جرجان (المتوفى سنة ٤٨٧ هـ)<sup>(٣)</sup> حيث علق عليه التعليقة التي كان لها أكبر الأثر في تاريخه الفكرى إذ يذكر أن اللصوص قد سرقوها منه وسط متاعه فلما ترجموا أن يعيدوها له فعلوا بعد أن سخروا من مثل هذا العلم الذى يتجرد صاحبه منه بمثل هذه البساطة<sup>(٤)</sup> قال الغزالي

(١) السبكي : طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٦ .

(٢) لم يذكر تاريخ وفاته : أنظر السبكي : الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٣٦ الطبعة الحسينية على أن الرجل كان حياً سنة ٤٦٥ .

(٣) يشير جبر في مقاله أن الشيخ المقصود ليس هو أبا نصر لأنه توفى سنة ٤٢٧ بل الشيخ إسماعيل ابن سعدة الاسماعيلي المتوفى سنة ٤٨٧ راجع العثمان : مهرة الغزالي هامش ١٧ .

(٤) ونص القصة كما برويها السبكي عن الإمام أسعد الميمني عن الغزالي يقول قطعت علينا الطريق وأخذ العيارون جميع ما معى ومضوا فتيقهم =

« فلما وافيت طوس أقبلنا على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علمته وسرت بحيث لو قطع على الطريق لم أتجرد من على » (١) :

ثم أن الغزالي في طائفة من شبان طوس قدم نيسابور ولازم لإمام الحرمين (٤١٩ - ٥٤٧٨ هـ) وجد واجتهد حتى برع في المذهب الشافعي وفي الخلاف والجدل وأصول الدين وأصول الفقه وأحكم كل ذلك (٢).

وكان لإمام الحرمين من قوة الشخصية وغازاة المادة وذيوخ الصيت وحرية الفكر (٣) ما أحدث أثره العميق في الاتجاه الفكري للغزالي فكفر بالتقليد وآثر الحرية الفكرية التي لا تتقيد بالمذاهب ولا تؤمن بالتبعيات الموروثة من الوالدين أو المكتسبة من الأساتذة.

فالتفت إلى مقدمتهم فقال ارجع ويحك وإلا هلكت فقلت له أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن ترد على تعليلي فقط فما هي بشيء تنتفعون به فقال لي وما هي تعليلتك فقلت كتب في لك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة عليها فضحك وقال كيف تدعى أنك عرفت عليها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم ثم أمر بعض أصحابه فسلم إلى المخلاة قال الغزالي هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدني به في أمرها (سيرة الغزالي ص ٩٥).

(١) السبكي : الطبقات وسيرة الغزالي ص ٩٥ .

(٢) سيرة الغزالي ص ٩٥ نقلا عن السبكي .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية ج ١ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ وابن الجوزي :

تلبيس إبليس الصفحات ٨٤ - ٨٥ والدكتورة : فوقيحة حسين محمود :

الجويني لإمام الحرمين ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

والكتب<sup>(١)</sup> ولعل مكتبة<sup>(٢)</sup> المدرستين النظاميتين بنيسابور وبغداد: التي عينه نظام الملك أستاذا لمدرستها في سنة ٥٤٨٤ هـ - وقد كانتا مليئتين بمختلف الكتب - الفلسفية منها وغير الفلسفية - أعانته إلى حد كبير على سلوك هذا الاتجاه وشجعتاه على المضى فيه حتى لم يذكر الغزالي نفسه أن هذا الاتجاه قاده أخيرا إلى فقدان الثقة في كل شيء اجتمع الناس على الثقة فيه فارتقى من عدم الإيمان بالحسيات إلى عدم الإيمان بالعقليات الأولية ودام على هذه الحال قريبا من شهرين كان فيهما (على مذهب السفسطة بحكم الحال لا بحكم المنطق والنقل) حتى شفاه الله تعالى من ذلك المرض فرجعت الضروريات العقلية معقولة موثوقا بها لديه على أمن ويتين ومن هنا بدأ طريقه الفكري بدراسة مذاهب المتكابين والباطنية والصوفية والفلاسفة جريا وراء البحث عن الحقيقة التي إن شذت عن هؤلاء كما يقول ( فلا يبقى في درك الحق مطمع )<sup>(٣)</sup> .

(١) الغزالي : المنقذ من الضلال ص ١٠ ، ١١ .

(٢) راجع عن المكتبة ببغداد ابن الجوزي : المنتظم ص ٩ ص ٤٢-٤٣ أثناء ترجمته لمحمد بن هلال الملقب بغرس النعممة رقم الترجمة ٦١ وفيات سنة ٤٨٠ — وراجع ص ٦٥ ، ١٦ من نفس المرجع وفيات سنة ٤٨٥ رقم الترجمة ١٠٣ وراجع السبكي طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢٩ أثناء ترجمته ليعقوب بن سليمان الأسفرايي ، وراجع عن مكتبة نيسابور : السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ أثناء ترجمته لسليمان بن ناصر : بن مهران والدكتورة فوقية حسين محمود : الجويني ص ٤٠ .

(٣) الغزالي : المنقذ ص ١٠ إلى ١٣ .



وبعد أربع سنوات قضاهن في التأليف والتدريس والدراسة آثر اعتزال المدرسة جرياً وراء استكمال الجانب العملي من الدراسة الصوفية تاركاً وراءه من الأثر والسمعة ما جعل الناس يرتبكون في استنباط أسباب العزلة فظن من بعد عن العراق أن ذلك كان لاستشمار عن جهة الولاية وأما من قرب من الولاية وكان يشاهد إلحاحهم في التعلق به والانكباب عليه وإعراضه عنهم وعن الالتفات إلى قولهم فكانوا يقولون هذا أمر سماوى وليس له من سبب إلا عين أصابت أهل الإسلام وزمرة أهل العلم<sup>(١)</sup>.

وفي عزلته الدراسية قضى قريباً من سنتين بالشام يتعبد في منارة مسجد دمشق<sup>(٢)</sup> وفي زاوية الشيخ نصر المقدسى بالجامع الأموى التى

---

(١) الغزالي : المنقذ ص ٣٥ إلى ص ٣٨ .

(٢) هكذا ذكر الغزالي في المنقذ ص ٣٨ ويوافقه في ذلك الياقعى المتوفى سنة ( ٨٦٨ هـ ) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة العبر من حوادث الزمن وقد دحض المؤلف الروايات التى لا توافق ما في المنقذ ويوافقه أيضاً أبو الفداء تاريخ أبو الفداء ج ٢ ص ٢٠٨ وابن العميد : شذرات الذهب ج ٣ حوادث ٤٨٨ هـ وهناك روايات أخرى مخالفة في عدد السنوات وفي ترتيب الرحلات إذ يقدمون الحج على سفره للشام راجع رواية عبد الغفر الفارسى ( ٤٥١ — ٥٢٩ هـ ) التى نقلها السبكي في الطبقات وابن الجوزى : المنتظم وياقوت المتوفى سنة ٦٢٦ هـ في معجم البلدان مادة طوس وابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ فى وفيات الاعيان والعينى : عقد الجنان مخطوط مادة وفيات سنة ٥٠٥ هـ .

عَـ فَمَا بَعْدَ بِالزَّائِيَةِ أَوْ الْمَدْرَسَةِ الْغَزَالِيَةِ نَسَبَهُ إِلَيْهِ<sup>(١)</sup> ثُمَّ وَاصَلَ عَزَلَتَهُ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَلَمَّا تَحَرَّكَتْ فِيهِ دَاعِيَةُ الْحَيَجِ<sup>(٢)</sup> صَحَبَ فِيهَا يُقَالُ كَلَامًا مِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْحَاكِمِيِّ الطُّوسِيِّ (تُوفِيَ سَنَةَ ٥٢٩)<sup>(٣)</sup> وَإِبْرَاهِيمَ ابْنَ الْمُطَهَّرِ الشُّبَّاكِ الْجُرْجَانِيِّ (الْمُقْتُولَ ٥١٣ هـ)<sup>(٤)</sup> كَمَا صَحَبَ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ إِلَى الشَّامِ الْفَقِيهَ نَصْرَ بْنَ أَدَمَ<sup>(٥)</sup>.

ثُمَّ بَعْدَ أَدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَيَجِ وَزِيَارَةِ قَبْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَذَبَتْهُ الِهْـمَمُ وَدَعَاوَاتُ بَنَاتِهِ إِلَى الْوَطَنِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ وَكَانَ قَضَى فِي عَزَلَتِهِ تِلْكَ مَقْدَارَ عَشْرِ سَنِينَ كَانَتْ تَشْوَشُ عَلَيْهِ فِيهَا حَوَادِثُ الزَّمَانِ وَمَهْمَاتُ الْعِيَالِ ، إِلَّا أَنَّهُ بِالرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ خَرَجَ بِالنَّتِيجَةِ الدِّرَاسِيَةِ الَّتِي طَمَعَ فِيهَا وَرَغِبَ فِي تَحْصِيلِهَا يَقُولُ : ( فَانْكَشَفَتْ لِي فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْخُلُوتِ أُمُورٌ لَا يُمْكِنُ إِحْصَاؤُهَا وَاسْتَقْصَاؤُهَا وَالْقَدْرُ الَّذِي أَذْكَرُهُ لِيَنْتَفِعَ بِهِ أَيْ عِلْمَاتُ يَقِينِنَا أَنَّ الصُّوفِيَّةَ هُمُ السَّالِكُونَ لَطَرِيقِ اللَّهِ تَعَالَى خَاصَّةً وَأَنَّ سِيرَتَهُمْ أَحَدُنَ السَّيْرِ وَطَرِيقَهُمْ أَصُوبُ الطَّرِيقِ وَأَخْلَاقُهُمْ أَزْكَى الْأَخْلَاقِ بَلْ لَوْ جُمِعَ عَقْلُ الْعُقَلَاءِ وَحِكْمَةُ الْحُكَمَاءِ وَعِلْمُ الْوَاقِفِينَ عَلَى أَسْرَارِ الشَّرْعِ مِنْ

(١) السَّبْكِيُّ : طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ ج ٤ ص ١٠٤ وَالْغَزَالِيُّ : الْمُنْقَذُ ص ٢٨ .

(٢) السَّبْكِيُّ : طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ ج ٤ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٣) السَّبْكِيُّ : طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ ج ٤ ص ٢٠٠ .

(٤) الْغَزَالِيُّ : الْمُنْقَذُ ص ٢٨ - ٢٩ .

(٥) الذَّهَبِيُّ ( ٥٧٣ - ٧٤٨ ) سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ مَخْطُوطٌ وَفَدَّ حَقَّقَهُ

أَخِيرًا الدُّكْتُورُ صِلَاحُ الْمُنْجِدِ .

العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم واخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلاً<sup>(١)</sup> .

وفي عام ٤٩٩ هـ ألح عليه الوزير فخر الدين بن نظام الملك (المقتول سنة ٤٨٥ هـ) أن يعود إلى التدريس فقبل بعد توقف غير أنه لما كان قلبه متعلقاً بالحقيقة التي عثر عليها في الطريق الصوفي أثر بعد قليل اعتزال المدرسة والانصراف إلى العزلة خاصة وقد كان الجو الذي يدرس فيه ماوئياً بمكائد الفقهاء وقتنهم وتحرشهم<sup>(٢)</sup> .

وهناك في وطنه وبالقرب من منزله ابنتى خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغين بالعلم ولزم الانقطاع ووظف أوقاته على وظائف الخير بحيث لا تمضي لحظة منها إلا في طاعة من الغلاوة والتدريس والنظر على الأخص في الأحاديث التي كان قد عيب بنقص فيها وأدام الصيام والتهجد وأعطى اهتماماً خاصاً لمجالسة أهل القلوب إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى في سنة ٥٠٥ هـ .

---

(١) الغزالي : المنقذ ص ٣٩ .

(٢) ابن الهيثم : شذرات الذهب ج ٤ ص ١٠ إلى ١٣ نشر مكتبة المقدس سنة ١٣٥٠ هـ والسبكي : طبقات الشافعية ج ٤ ص ١٠٨ والغزالي : المنقذ من الضلال ص ٤٩ .

## ثقافة الغزالي

ثقافة الغزالي فرع من ثقافات متعددة فيها :

( أ ) العنصر الإسلامى الذى يتمثل فى القرآن والحديث وآراء الصحابة والفقهاء .

( ب ) العنصر اليونانى المتمثل فى الثورة الفلسفية التى هزت الفكر الإسلامى هذا عنيفاً كانت ضحاياه من المسلمين أكثر من ضحاياه فى غيرهم .

( ح ) العنصر الهندى وقد أحدث دويماً وسط الأفكار الصوفية جعل ضعفاءهم يتصورون ما انتهوا إليه من قرب لله فناء روحياً فيه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول .<sup>(١)</sup>

( د ) العنصر الفارسى الذى لعب دوره لافى العقائد الشيعية المتطرفة فحسب بل العقائد السنية حيث اضطر الغزالي وغيره<sup>(٢)</sup> أن يدخلوا البحث فى الإمامة ضمن عقائد التوحيد مع أنها مسألة سياسية بجته كما يقول بن خلدون<sup>(٣)</sup> .

( هـ ) العنصر الشخصى الذى هضم كل الثقافات وتمثلها فى آراء

( ١ ) الغزالي : المنقذ ص ٣٩ .

( ٢ ) من مثل القاضى أبو الحسن عبد الجبار توفى سنة ٤١٥ هـ فى كتابه المغنى فى أبواب العدل والتوحيد حيث خصص القسم الأول والثانى من الجزء العشرين للإمامة طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة .

( ٣ ) ابن خلدون : المقدمة .

جديدة فيها الأصالة والطرافة<sup>(١)</sup> كما فيها المجرارة والترديد لآراء  
الأقدمين<sup>(٢)</sup> الأمر الذي جعل ابن العربي (المتوفى سنة ٥٤٣ هـ) يقول :  
شيخنا أبو حامد بلغ الفلاسفة وأراد أن يتقيأهم فما استطاع<sup>(٣)</sup> .

الغزالي إذن دائرة معارف حية ، كان فيها ما أرضى الأقدمين  
واستوجب حدهم وما أرضى المعاصرين واستوجب ثناءهم . لقد كان  
منهوما لمعاصريه في القرن الخامس الهجري كما هو مفهوم أيضاً لمعاصرينا  
في القرن الرابع عشر الهجري ، بل إن آراءه تشبه إلى حد كبير آراء  
أبرز فلاسفة الغرب من الأوروبيين والأمريكيين ، يقول البروفسير  
واط : ( Watt ) .

His Outlook, too , is closer than that of many

Muslims to the out Look of modern Europe and Amrica,so  
that he is easily comperhensible to us (٤)

(١) الذبي : سير أعلام النبلاء مخطوط يحققة الآن الدكتور  
صلاح الدين المنجد وقد نشر العثمان ترجمة الغزالي من المخطوطة في كتاب سيرة  
الغزالي فراجع ما ذكره مما يؤيد ما ذهب إليه في ص ٧٧ و صفحة ١١٠  
وراجع السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج ٤ ص ١٢٣ ، ص ١٠٧ ،  
ص ١٢٤ .

(٢) العثمان : سيرة الغزالي ص ١١٠ نقلا عن الذبي والسبكي : طبقات  
الشافعية الكبرى ج ٤ ص ١٢٣ .

(٣) الذبي : سير أعلام النبلاء مخطوط بدار الكتب المصرية وقد نشر  
العثمان ترجمة الغزالي منه في كتابه سيرة الغزالي راجع النص في صفحة ٧٠ .

لقد أحدثت أفكاره دويًا في المجتمع الإسلامي انقسم الناس حوله إلى (١) :

(١) معجب أعماه حب الغزالي وأصمه فطلق يرسل عليه وعلى كتبه كلمات الإعجاب ويطلق ألفاظ المدح من مثل :

١- لو كان نبي بعد محمد لكان الغزالي ، لو كان الغزالي نبياً لكانت معجزته الإحياء .

٢- كاد الإحياء أن يكون قرآنا (٢) .

٣- من أراد طريق الله وطريق رسول الله وطريق العارفين بالله وطريق العلماء بالله أهل الظاهر والباطن فعليه بمطالعة كتب الغزالي خصوصاً إحياء علوم الدين فهو البحر المحيط (٣) .

٤- ومن مثل ما قاله الفقيه إسماعيل بن محمد الحضرمي اليمني حين سئل عن تصانيف الغزالي : محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء ومحمد بن إدريس الشافعي سيد الأئمة ومحمد بن محمد الغزالي سيد المصنفين .

٥- ومن مثل ما وصف به الحافظ الإمام الفقيه أبو الفضل العراقي كتاب الإحياء حين قال إنه من أجل كتب الإسلام في معرفة الحلال والحرام (٤) .

---

(١) أشار إلى هذا الانقسام المازري : انظر سيرة الغزالي ص ٧٩

(٢) الميدروس : تعريف الإحياء بفضائل الإحياء ص ٧ طبع القاهرة

١٣٨٧ - ١٩٦٨ .

(٣) نفسه ص ٨ . (٤) نفسه ص ٥ .

٦ — ومن مثل ما قاله الشيخ أبو محمد الكاروني : لو محيت جميع العلوم لاستخرجت من الإحياء<sup>(١)</sup> .

٧ — ومن مثل ما قاله الشيخ عبد الله العيدروس لو بعث الله الموتى لما أوصوا الأحياء إلا بما في الإحياء<sup>(٢)</sup> .

٨ — ومن مثل ما روى عن الشيخ علي ابن أبي بكر بن الشيخ عبد الرحمن السقاف — قال : لو قلب الإحياء كافر لأسلم<sup>(٣)</sup> .

٩ — ومن مثل ما جاء عن الشيخ علي المذكور حين قال شعراً :  
كتاب جليل لم يصنف قبـاه

ولا بهـمـه مثل له في الطرائق<sup>(٤)</sup>

وقيل عن الغزالي أيضا :

١٠ — حجة الإسلام والمسلمين وإمام أئمة الدين لم تر العميون مثله  
لسانا وبيانا ومنطقا وخاطراً وذكاء وطبعاً<sup>(٥)</sup> صار أنظر أهل زمانه  
وأوحد أقرانه في أيام إمام الحرمين<sup>(٦)</sup> .

---

(١) نفسه ص ٧ . (٢) نفسه ص ٧ .

(٣) نفسه ص ٨ .

(٤) العيدروس : تعريف الأحياء ص ٩ ويشرح لفظ الكافر بقوله :  
المراد بالكافر هنا فيما يظهر الجاهل بعيوب نفسه المحجوب عن إدراك الحق.  
ص ٩ . (٥) نفسه ص ١٠ .

(٦) العثمان سيرة الغزالي نقلاً عن كلام عبد الغافر بن إسماعيل الفارس.  
( المتوفى عام ٢٢٩ المنشور في طبقات الشافعية ) .

- ١١ — صاحب التصانيف التي ملأت الأرض طولا وعرضا<sup>(١)</sup>  
 ١٢ — مضى وأعظم مفقود فجمعت به من لانظير له في الخلق يخلفه<sup>(٢)</sup>  
 ١٣ — أعجوبة الزمان : زين الدين<sup>(٣)</sup>  
 ١٤ — امام الفقهاء على الاطلاق ورباني الآفاق باتفاق ومجتهد  
 زمانه وعين أوانه<sup>(٤)</sup> .

١٥ — وأثنى على الغزالي الإمام محمد بن علي المازري الصقلي فقال :  
 هو بالفقه أعرف منه بأصوله .

وأحال بعض الغزاليين هذا الإعجاب إلى عمل فحفظوا عن ظهر قلب  
 بعض كتبه<sup>(٥)</sup> أو كادوا<sup>(٦)</sup> وتسموا بأسمائها<sup>(٧)</sup> وكتبوها بماء الذهب<sup>(٨)</sup>

- (٤) نفسه . (١) ياقوت الحموي : معجم البلدان مادة طوس .  
 (٢) من شعر محمد بن أحمد الأبيودي المتوفى مسموما سنة ٥٠٧ هـ راجع  
 معجم البلدان مادة طوس نقل نفس البيت المذكور ابن خلكان ٦٨١ هـ في كتاب  
 وفيات الأعيان .  
 (٣) من كلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد التركاني الدمشقي  
 (٥٧٣ — ٧٤٨) في كتابه سير أعلام النبلاء .  
 (٤) نفسه نقلا عن ابن النجار راجع سيرة الغزالي ص ٧٦ .  
 (٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤة ج ١ ص ٤٤٠ .  
 (٦) طا شكري زادة : مفتاح السعادة ج ٢ ص ٥٠ — ٥١ .  
 (٧) شذرات الذهب ج ٥ ص ١٤٤ — ١٤٥ ، ٣٦٨ — ٣٦٩ .  
 (٨) الدرر الكامنة ج ١ ص ١٠ رقم ١٩ ، ج ١ ص ٢٤٣ رقم ٦٢٦  
 ج ٤ ص ٢٤٣ رقم ٦٥٢ والسبكي طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ — الصفحات  
 ١٣٠ ، ١٢٩ ، ٧٥ .



واعتبروها مقياساً للعلم والثقافة<sup>(١)</sup> وتراسل بها بعض الأدباء في نشرهم وشعرهم وبالغ آخرون فتمعبدوا بقراءة كتاب الإحياء وقسموه ثلاثين جزءاً ليقرءوه كالقرآن في رمضان .

(ب) ناظم كان لا يفتأ يقلل من مكانة الغزالي ويحقر من شأن ثقافته مصوراً إياه بصورة الكافر الملحد تارة<sup>(٢)</sup> وبصورة الجاهل الغبي تارة أخرى<sup>(٣)</sup> سالباً منه كل فضيلة مسنداً إليه كل رذيلة ومن أمثلة ذلك ما قاله :

١ - أبو بكر محمد بن الوليد الأندلسي الفقيه المالكي المتوفى عام ٥٢٠ هـ شجن أبو حامد الإحياء بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أعلم كتاباً على بساط الأرض أكثر كذباً منه<sup>(٤)</sup> .

٢ - محمد بن الوليد الطرطوشي : فأما ما ذكرت من أبي حامد فقد رأيته وكتبه فرأيت به جليلاً من أهل العلم واجتمع فيه العقل والفهم ومارس العلوم طول عمره وفاق إلى ذلك معظم زمانه ثم بدا له العدول عن طريق العلماء ودخل في غمار المال ثم تصرف وهجر العلوم وأهلها ودخل في علوم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان

(١) العيدروس : تعريف الإحياء ص ٧ .

(٢) مثل ابن الجوزي وابن رشد راجع المنتظم مادة وفیات ٥٠٥ هـ ووثقات الفلاسفة لابن رشد .

(٣) ابن رشد : الثقات .

(٤) سيرة الغزالي ص ٧٥ نقلاً عن سير أعلام النبلاء الذهبي .

ثم شأبها بأراء الفلاسفة ورموز الحلاج ، وجعل يظن على النقاء .  
والتكاملين ، ولقد كاد أن ينسلخ من الدين فلما عمل الإحياء عمد  
يتكلم فى علوم الاحوال ورموز الصوفية وكان غير أنيس بها ولاخير  
بمعرفة ، فسقط على أم رأسه وشحن كتابه بالموضوعات<sup>(١)</sup> .

٣ — محمد بن على المازرى الصقلى : وفى الإحياء من الواهيات  
كثير<sup>(٢)</sup>

٤ — محمد بن على المازرى عن الغزالى أيضا ( تحقيق أن لا يوثق  
بما روى )<sup>(٣)</sup>

٥ — وقال أبو الفرح ابن الجوزى المتوفى عام ٥٩٧ : صنف  
أبو حامد الإحياء وملاه بالأحاديث الباطلة ولم يعلم بطلانها وتكلم  
عن الكشف وخرج على قانون الفقه<sup>(٤)</sup>

(ج) منصف أعطى ما للغزالى وللغزالى وما لغيره لغيره وقليل ما هم .  
ويبدو لى أنه من المناسب ونحن بصدد الحديث عن ثقافة الغزالى أن  
نقسم مراحل ثقافته إلى أقسام متميزة :

الاولى : مرحلة ما قبل اتصاله بالجوينى وفى هذه المرحلة تنلمذ على  
الصوفى الذى كان وصيا عليه ثم على أحمد بن محمد أبو حامد الرازكافى

---

(١) سيرة الغزالى ص ٧٨ نقلا عن سير أعلام النبلاء للذهبي .

(٢) نفسه ص ٨٠ .

(٣) سيرة الغزالى ص ٨٠ نقلا عن سير أعلام النبلاء للذهبي .

(٤) نفسه ص ٨١ .

بطوس ثم على الإمام الشيخ الاسماعيلي بجرجان ( المتوفى سنة ٤٨٧ هـ )  
ونرجح أنه قد ألم بطرق التصوف إن لم يكن إماما نظريا فعلى  
الأقل إماما عمليا كان يتمثل في سلوك هذا الصوفي الذي كان الغزالي  
على صلة وثيقة به وقد يكون درس معه إلى جانب ذلك بعض المعلومات  
الاولية عن الفنون المتفشية في عمره كالفقه والكلام بجانب القرآن  
والحديث الذين هازاد كل مسلم وإن اختلف القدر الذي يحصله كل  
مسلم من هذين الأصاين .

وقد واصل دراسة الفقه أو ابتدأه عند انتقاله إلى معلمه الجديد  
الرائسكاني وقد كان الرائسكاني شافعي المذهب مبرزاً ... في كثير من  
العلوم .<sup>(١)</sup>

ولما كان الرئسكاني يشارك الصوفي الاول في الاهتمام بالجانب العملي  
من العبادة والجنوح إلى الناحية الصوفية فقد يكون درس الغزالي طرفا  
من التصوف إن لم يكن نظريا فعمليا في سلوكه فيما نرجح غير أن الغزالي  
حتى بداية دراسته عند الرائسكاني لم يكن جادا في الدراسة إذ كان  
القوت يشغل باله ويحتل قدرا كبيرا من تفكيره ، تلمس ذلك من  
تأريخه وفي عبارته التي صور بها حاله أخيرا إذ يقول ( طالبنا العلم لتغير

---

(١) الذهبي سير أعلام النبلاء مخطوط بدار السكتب المصرية وقد نقل  
منه النص العثمان : سيرة الغزالي ص ٧٦ وراجع ما نقله السيكي في طهقات  
الشافعية ص ابن الملقن مخطوط بدار السكتب المصرية والنص هنا منقول من  
سيرة الغزالي للعثمان ص ١٤٣ .

( ٣ - الغزالي )

الله فأبى أن يكون إلا الله، على أننا لا نعارض بالطبع في أن تكون  
 نمة بوادر رغبة علمية بدأت تشق طريقها إلى قلبه في النهاية غير أن الصفة  
 الغالبة عليه في الاول كانت لا تزال تحصيل القوت قبل تحصيل العلم .  
 ولكنه ما أن ابتدأ الدراسة عند أبي نصر حتى بدأ حب العلم أو  
 على الأصح الرغبة الجادة فيه تشغل باله ، خاصة وقد اطمأن إلى وفرة  
 القوت ولم يعد التفكير فيه ، وقد توفر له ، يشغله عن التفكير في غيره .  
 ويبدو أن مآدرسه عند هذا الأستاذ كان أكثر بكثير مما درسه  
 عند أساتذته السابقين بدليل أن استيعاب ما حصله وحفظه استغرق  
 منه ثلاث سنوات كاملة على الرغم من ذكائه وقدرته على التحصيل  
 الكثير في الظرف الوجيز ، كما يعلم ذلك من دراسته للفلسفة في سنتين  
 بالرغم من عدم تفرغه لها .

وقد يكون الغزالي درس في هذه الفترة إلى جانب التصوف والفقه  
 شيئاً على علم الكلام وقد يكون سمع عرضاً بحيل الباطنية وأساليبهم  
 كما قد يكون سمع ببعض الفلاسفة وقصص المعجبين بهم والناقين عليهم  
 غير أن إسامه بكل ذلك ومعرفة الجادة بتفاصيل العلوم وفوائد  
 المذاهب ما تكن قد بدأت .

#### مرحلة دراسته على الجويني :

في هذه المرحلة تفتقت على الغزالي معالم جديدة لم يكن له بها عهد  
 فقد درس علم الكلام وخبر أساليب رجاله وعرف حججهم ومطاعنهم  
 على الغير كما عرف عن طريق الحجج والمطاعن بعض أفكار الفلاسفة .

وقد ساعده إلى حد كبير عاملان هامين في هذه المرحلة :  
( ١ ) عامل الحرية الفكرية الواسعة والنفور من التقليد الذى لمسه  
من أستاذه<sup>(١)</sup> .

( ب ) وفرة الكتب فى المدرسة النظامية التى كانت تضم أصنافاً  
من الفنون وأنواعاً من الكتب<sup>(٢)</sup> لانشك فى أن الغزالي قد اطلع  
على بعضها إن لم يكن عليها كلها .

فى هذه المرحلة درس الغزالي عن وعى ما كتبه الجوينى من آراء  
فيها ما يناقض صراحة نصوص القرآن<sup>(٣)</sup> ولا يتفق مع تعاليم الإسلام  
اتفاقه مع آراء الفلاسفة<sup>(٤)</sup> كما قد درس ماله من آراء معتدلة فى كتبه  
الأخرى<sup>(٥)</sup> وإليك بعضاً من الفنون والكتب التى نرجح أنه درسها  
على الجوينى مما يساعد على تكوين فكرة عن مدى ثقافة الغزالي .

١ - أصول الفقه : درس الغزالي أصول الفقه فى كتب  
الجوينى منها :

( ١ ) السبكي : طبقات الشافعية .

( ٢ ) فوقية حسن محمود : الجوينى ص ٥٠ والسبكي : الطبقات ج ٤  
ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

( ٣ ) راجع ما ذكره السبكي فى الطبقات ج ٣ ص ٢٦٦ نقلاً عن كتاب  
البرهان للجوينى .

( ٤ ) راجع ملخص آراء الفلاسفة فى كتاب محصل أفكار المتقدمين  
والمتأخرين .

( ٥ ) من مثل الشامل وغيره راجع السبكي : الطبقات ج ٣ ص ٢٦١  
إلى ص ٢٨٢ .

(١) البرهان في أصول الفقه، وهذا الكتاب من مقتخرات الشافعية قد تعرض فيه صاحبه لمسائل فلسفية كفره عليها البعض<sup>(١)</sup> إذ صرح بتسفيه عقول من يعتقد أن الله تعالى عالم بما لا يتناهى على التفصيل كما خالف فيه بمثل هذا وبغيره آراء الأشاعرة والشافعية قاطبة وانتقد آراء الإمام مالك في مسألة الاستصلاح والمصالح المرسلة وغيرها الأمر الذي سبب حرجاً للشافعية غير أنهم لما لم يمكنهم تأويل كلام إمامهم الجويني، اعتبروا الكتاب لغزاً وسماه السبكي لغز الأمة قال : لما فيه من مصاعب الأمور وأنه لا تخلو مسألة عن أشكال<sup>(٢)</sup> وعلى كل فالكتاب كما يستفاد من مقدمته الاجتهاد والافتاء ومهدا الكتاب آخر يقع مصنفاً برأسه وتنتمى لموضوع المقدمة<sup>(٣)</sup>.

(ب) كتاب المجتهدين وهو يتناول تصويب المجتهدين ويبين أن النظر واجب بالشرع ومن لا يلجأ إلى النظر لن يصل إلى درجة اليقين في المعتقدات إلا إذا كان طريقه القلب وهذا الطريق لا يسلكه من شغل نفسه بمهام الحياة فالأوفق للمعتدين ألا يشغلوا أنفسهم عن النظر في الاعتقاد

(١) من مثل الذهبي : وربما المازري راجع السبكي : طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٦١ إلى ص ٢٨٢ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٦١ إلى ص ٢٨٢ .

(٣) فوقية حسين محمود : الجويني ص ٦٢ وراجع مخطوطات الكتاب بدار الكتب بالقاهرة رقم ( ٧١٢ أصول فقه ) ومصرورة فروغرافيا عن نسخة مخطوطة بالمكتبة البدرية ( المدرسة المدبولية بدمياط ) وراجع مخطوطة مكتبة الازهر رقم ٩١٣ أصول الفقه .

وإلا خاب ظنهم وضلوا السبيل<sup>(١)</sup>.

(ج) الورقات: وهو يقع في تسع ورقات ومنها استمد الاسم إلا أنه فيما يبدو كان عظيم الفائدة واسع الانتشار كما يستبان ذلك من الشروح المختلفة التي قام بها بعض الفارسيين والعراقيين والمصريين<sup>(٢)</sup>.

(د) مغني الخلق في اختيار الأحق: تناول فيه قواعد الأحكام وبين الأدلة على تفاصيل الحلال والحرام وقد قسم كلامه إلى سبعة أقسام بحيث جاء الكلام في القواعد محكما ينتهي بالباحث إلى مراعاة الإنصاف. وضرورة مجازبة التعسف في تقرير ما يشغل الأذهان من مسائل<sup>(٣)</sup>.

٢ — مصنفات في أصول الدين: درس الفزالي أصول الدين في كتب الجويني منها:

(١) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: وهو من أهم مصنفات الجويني وأشهرها وقد تناول فيه المعتقدات الدينية محاولا إيجاد البراهين لها لتساير التطور الفكري للمسلمين، وقد بدأ حديثه في الكتاب بإثبات حدوث العالم ونعرض للجواهر والعرض وأثبت أنه لا يجوز الوجود من مادة قديمة كما قال للملاحدة يعني حكماء اليونان وإنما يكون الوجود من العدم وهي فكرة ساير فيها غيره من المتكلمين ثم تكلم

( ) فوقية حسين محمود: الجويني ص ٦٤ وراجع المخطوطة بمعهد أحياء المخطوطات القديمة بجامعة الدول العربية رقم ١٢٣٧/٢ فيلم.

(٢) فوقية حسين محمود: الجويني ص ٦٥ — ٦٦ وراجع الورقات.

(٣) فوقية حسين: الجويني ص ٦٦.

عن الرسالة والنبوة والمعجزة والكرامة وعن بائيات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما تكلم عن جواز إرسال الرسل عامة وتعرض للإمامة وأثبت أنها كانت لدى المسلمين اختيارية وتم بالإجماع<sup>(١)</sup>.

(ب) الشامل في أصول الدين: وقد تناول الجويني فيه دراسة (الشيء) من وجهة نظر أهل السنة فقرر أن الشيء هو الموجود لا المعلوم كما يقول المعتزلة لأن المعلوم قد يكون معدوماً، وتعرض للجواهر والأعراض ودحض إثبات حوادث لا أول لها راداً بذلك على الطبائعيين والثنوية (أصحاب مذهب النور والظلمة) ورد على النصارى فيما يتعلق بتسميتهم الله جوهراً وتدرع اللاهوت بالناسوت، كما تعرض بالمثّل لأراء اليعقوبية والنسطورية ثم واجه الدهريين فنقض حججهم وقرر حججه<sup>(٢)</sup>.

(ج) غياث الأمم في التباث الظلم: وهو يدور حول الإمامة عارضاً وجهة نظر أهل السنة فيها<sup>(٣)</sup>.

(١) الدكتور فوقيّة حسين محمود: الجويني ص ٦٦ إلى ص ٨٠ وراجع الإرشاد لإمام الحرمين طبع بمطبعة السعادة بمصر ١٩٥٠ م.

(٢) الدكتور فوقيّة حسين: الجويني ص ٨١ إلى ص ٨٥ وراجع الجزء الأول منه الكتاب الذى نشره المشرق كلوفور وراجع أيضاً النسخة المصورة عن نسخة الأستاذة للجزء الأول المحفوظة بدار الكتب بالقاهرة رقم (١٢٩٠) علم الكلام.

(٣) فوقيّة حسين محمود: الجويني ص ٨٥ وراجع مخطوطة دار الكتب العربية رقم ٨ (اجتماع تيمور) ومخطوطة بلدية الإسكندرية رقم ٩٢ تاريخ.



( د ) شفاء الغايل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل :  
ويدور فيه الكلام من مؤلفه الجويني على اثبات أن نصوص الإنجيل  
اشتملت على ذكر سيدنا محمد ( سيد المرسلين ) قبل أن تمسح يد النحرير  
وينالها ماناها من تبديل والكتاب حتى الآن ما يزال مخطوطا <sup>(١)</sup> .

( هـ ) العقيدة النظامية وهو جزء من مصنف كبير لإمام الحرمين  
أسماء ( العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية ) ويتميز هذا الجزء  
بأنه يحوى آراء إمام الحرمين في أصول التوحيد أى تلك التى لم يتقيد  
فيها بطرق السابقين عليه من أهل الحق إذ يطالعنا بآراء لم يسبق إليها  
وبعرض طريق لبعض الآراء السابقة .

وفي هذه الرسالة حاول أن يبين حقيقة علم الكلام ليوصل بها الدارس  
إلى إثبات وجود الله دون التعرف بحقيقته سبحانه إذ حقيقته — كما  
يقول — لا تنكشف للعبد إلا عن طريق القلب <sup>(٢)</sup> .

( و ) لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة وهو كتاب  
للجويني سائر فيه طرق أهل السنة والجماعة في الاستدلال وقد تعرض

---

(١) فوقية حسين : الجويني ص ٨٥ وراجع مخطوطى أيا صوفيا  
برقم ( ٢٢٤٦ ) ورقم ( ٢٢٤٧ ) ومصورة معهد لإحياء المخطوطات القديمة  
بجامعة الدول العربية رقم ( ١٥٩ ) فيلم .

(٢) فوقية حسين محمود : الجويني ص ٨٦ - ٨٧ وراجع العقيدة  
النظامية المشار إليها، تصحيح وتعليق الكونرى طبع سنة ١٩٤٨، وأيضاً راجع  
نفس العقيدة نشر المستشرق كلوير .

في ايجاز لأهم المسائل الكلامية التي تعرض لأمثالها في كتابه السابق الارشاد<sup>(١)</sup>.

( ز ) مسائل الامام عبد الحق وأجوبتها : وهي إحدى مؤلفات الجويني تعرض فيها لحدوث العالم ولذهول بعض العوام عن وجه الدلالة على صدق الانبياء ، وتعرض أيضاً للمعجزات والمعجزات وأثبت قدرة الله على كل شيء<sup>(٢)</sup>.

( ح ) التلخيص في الأصول : وقد أشار اليه امام الحرمين في كتابه ( الشامل في أصول الدين )<sup>(٣)</sup>.

٣ — مصنفات في الفقه : درس الغزالي انقته في كتب للجويني منها :

( ا ) نهاية المطالب في رواية المذهب : وهو مصنف ضخم للجويني يتكون من عدة أجزاء تصل في بعض النسخ إلى اثنين وعشرين جزءاً تناول فيه مختلف مسائل الفقه مبيناً أصولها وأحكامها مع عناية بآراء المخالفين في المذهب والحرص على تنفيذ آرائهم ونقد أقوالهم<sup>(٤)</sup>.

( ب ) مناظرة في الاجتهاد في القبلة : كتبها الجويني رداً على سؤال من الشيخ أبي اسحق الشيرازي عن تبين الخطأ بعد اجتهاده في تعيين

---

( ١ ) الدكتور فوقيه حسين : الجويني ص ٨٧ وقد طبع كتاب الله بإشراف الدكتور فوقيه .

( ٢ ) الدكتور فوقيه حسين : الجويني ص ٨٨ .

( ٣ ) الدكتور فوقيه حسين : الجويني ص ٨٨ .

( ٤ ) الدكتور فوقيه حسين : الجويني ص ٨٨ إلى ٩١ .

- القبلة فأثبت الجويني في رده عليه بطلان الصلاة ولزوم الاعادة<sup>(١)</sup> .
- (ج) مناظرة في زواج البكر : أثبت فيها الجويني ضرورة عدم إجبار البكرة البالغة على الزواج بدون أذنها<sup>(٢)</sup> .
- (د) السلسلة في معرفة القولين والوجهين على مذهب الشافعي : وهي كغيرها من معظم كتبه ورسائله ما تزال مخطوطة<sup>(٣)</sup> .
- (هـ) رسالة في الفقه تناول فيها — على الرغم من صغرها — الكثير من المسائل الفقهية<sup>(٤)</sup> .
- (و) رسالة في التقليد الاجتهاد : تناول فيها بالدراسة بعض المسائل التي تخص الاجتهاد وأبان وجهة نظره في التقايد<sup>(٥)</sup> .
- ٤ — مصنفات في الخلاف : درس الغزالي في علم الخلاف مصنفات للجويني منها :
- (أ) الدرة المعنية فيما وقع من خلاف بين الشافعية والحنفية<sup>(٦)</sup> .
- (ب) غنية المسترشدين في الخلاف<sup>(٧)</sup> .
- ٥ — مصنفات في الجدل : درس الغزالي في الجدل مصنفات للجويني منها :

- 
- (١) فوقية حسين : الجويني ص ٩١ والسبكي الطبقات ج ٣ ص ٢٧٥ .
- (٢) فوقية حسين : الجويني ص ٩١ والسبكي الطبقات ج ٣ ص ٢٧٨ .
- (٣) فوقية حسين : الجويني ص ٩١ .
- (٤) فوقية حسين : الجويني ص ٩١ — ٩٢ .
- (٥) فوقية حسين : الجويني ص ٩٢ .
- (٦) فوقية حسين : الجويني ص ٩٢ .
- (٧) فوقية حسين : الجويني ص ٩٢ .

(أ) كتاب السكافية في الجدل : قرر فيه أهمية الإلمام بمختلف المصطلحات العلمية الجارية بين أهل الزمان ليتيسر للباحث الدخول في العلم ومحاولة اصطحابه كما قرر بشأن الجدل ما يحمد منه وما يذم<sup>(١)</sup>.

٦ — مصنفات عامة : عرف الغزالي للجويني منها :

(أ) ديوان في الخطب المنبرية<sup>(٢)</sup>.

(ب) قصيدة يحث بها ابنه على النهوض وطلب المعالي<sup>(٣)</sup>.

(ج) كتاب النفس : ورد ذكره في سياق أقوال الجويني في كتابه العقيدة النظامية حيث قال : وقد جعت كتابا في النفس سميته كتاب النفس وهو يشتمل على قريب من ألف صفحة<sup>(٤)</sup>.

هذه بعض مؤلفات الجويني حرصنا على :

(أ) التطويل فيها .

(ب) والالمام للمكتبة النظامية بنيسابور<sup>(٥)</sup>.

لأنهما يكونان بعض ثقافة الغزالي في مرحلة دراسته على الجويني وهي مرحلة هامة في تاريخ الغزالي كان لها أثرها الفعال في بقية المراحل

(١) فوقية حسين : الجويني ص ٩٢ إلى ص ١١٢ .

(٢) فوقية حسين : الجويني ص ١١٤ .

(٣) فوقية حسين : الجويني ص ١١٣ .

(٤) الدكتور فوقية حسين : الجويني ص ١١٣ وراجع أيضا العقيدة

النظامية ص ٥٩ .

(٥) راجع عنها السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج ٤ ص ٢٢٢ - ٢٢٤

أثناء الترجمة لسلطان بن ناصر بن ميمون بن مهران المتوفى سنة ٥١١ أو ٥١٢ هـ .

التي اجتازها كما كان لها أثرها في الانطلاقة الفكرية للغزالي والغضبية الدينية التي قام بها في مناهضة الفلاسفة والحشوية والباطنية كما كان لها والمرحلة السابطة لها بعض الأثر في التجاء الغزالي لحظيرة المتصوفة . وقد لا نستبعد أن يضاف إلى ذلك آثار أخلاقية سيئة تلخص منها الغزالي أخيرا وانتقدها بمرارة هي :

( أ ) الحسد .

( ب ) الرياء .

( ج ) العجب<sup>(١)</sup> .

والأمثلة على ذلك كثيرة قد يطول البحث أكثر فأكثر إذ اتبعناها .  
( ج ) مرحلة التثقيف الشخصي وبناء الشهرة .

وهي المرحلة الحاسمة في تاريخ الغزالي حيث أكتسبه الشهرة وأضفت على شخصيته ، وولائاته لونا خاصا من التقدير انعكس في ألفاظ المدح والاطراء التي أسبغها عليها البعض في مختلف القرون .

في هذه المرحلة تكونت شخصية الغزالي وسمت مكانته وصار له كما لغيره أنصار يتعصبون له إلى درجة التضحية وخصوم يتعصبون عليه إلى درجة قد تعرضهم لنقد الناقدين أو سلاح الأنصار المتمصبين .

غير أن الذي يهمنا تقريره هنا هو أن مجرد اهتمام الناس بالإنسان مدحا أو ذما دليل على عظمتهم وسمو مكانته وإلا لأهملوه كما أهملوا

---

(١) الغزالي : بداية الهداية ، وراجع بداية الهداية الملتقط من الكفاية

شرح البداية للفاكهي ص ١١٢ .

غيره من ملايين العلماء الذين عرفتهم الانسانية في تاريخها ، ولقد صدق الغزالي حين قال : ( أودع الناس واتقاهم وأعلمهم من لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة بل بعضهم بعين الرضا وبعضهم بعين السخط وعين الرضا عن كل عيب كليله )<sup>(١)</sup> .

للمرحلة إذن خطورتها البالغة بالنسبة للغزالي بل بالنسبة لتاريخ الفكر الاسلامي أجمع وأكاد أجزم بأن الغزالي لو لم يمر بهذه المرحلة لما نبه ذكره وارتفع شأنه ، بل قد لا يكون له ذكر على الاطلاق فهناك مئات الطلاب ممن درسوا على الجويني والرازكاني والاسماعيلي أهلهم التاريخ كما أن هناك آلافا من الناس ممن مروا على المراحل الآتية لم يفد منهم مرورهم عليها ذكرا أو نبوغا أو نفاذ كلمة أو ذبوع صيت أو سيورة إنتاج .

على أن المرحلة في نظري ذات جانبين هاميين لا يمكن فصل بعضهما عن بعض إذ كلاهما يتم الآخر ويكمله لأنهما بمثابة حلقة واحدة لا يدرى أين طرفاها ، أو قل قد يدرى الطرف الهام منها غير أن أهمية هذا الطرف لا تنكسبه فقيراً أو قطيراً إذا ما انفصل عن الطرف الآخر .

الطرف الأول : اتصاله بالوزير نظام الملك :

كل المصادر تتفق في أن الغزالي بعد أن درس على الجويني أم صوب الوزير نظام الملك إذ كان ( مجلسه عامراً بالفقهاء وأئمة المسلمين وأهل

---

(١) العثمان : سيرة الغزالي ص ١٧٥ والزبيدي إتحاف السادة المتقين شرح لإحياء علوم الدين .

التدين<sup>(١)</sup> فهم على حد تعبيره ( أركان الاسلام وهم جمال الدنيا والآخرة — يقول — لو أجلسنا كلا منهم على رأسى لاستقلت لهم ذلك )<sup>(٢)</sup> .

ويذكر الأصفهاني (وفي أيامه نشأ للناس أولاد نجباء وتوفر على تهذيب الأنبياء الآباء ليحضرهم في مجلسه ويحظو ابتكريه فانه كان يرشح كل واحد لمنصب يصلح له بمقدار ما يرى فيه من الرشد والفضل ، ومن وجد في بلدة قد تميز وتبحر في العلم بنى له مدرسة ووقف عليها وقفاً وجعل فيها دار كتب .. ولم يزل بابنه مجمع الفضلاء وملجأ العلماء وكان ناقدًا بصيرا ينقب أحوال كل منهم ويسأل عن تصرفاته وخبرته ومعرفة من تفرس فيه صلاحية الولاية ولاءه ومن رآه مستحقاً لرفع قدره رفعه وأعلاه ومن رأى الانتفاع بعلمه أغناه ورتب له ما يكفيه من جدواه حتى ينقطع إلى إفاة العلم ونشره وتدريس الفضل وذكره ، وربما سيره إلى إقليم خال من العلم ليحلى به عاطله ويحيى به حقه ويميت باطله .

ثم إنه لما وفر الأموال على الخزينة والعسكر جعل فيها لأرباب العلوم وأصحاب الحقوق حقوقاً لا تؤخر ورسومها لا تغير وصير إحسان السلطان بين أهل العلم ميراثاً يأخذونه بقدر الفرائض ويأمنون بها من

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، الصفحات ٦٤ إلى ٦٨ وفيات سنة ٤٨٥ هـ  
رقم الترجمة ١٠٣ والسبكي : الطبقات ج ٤ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، الصفحات ٦٤ إلى ٦٨ وفيات رقم ٤٨٠ هـ  
قدم الترجمة ١٠٣ .

النوايب والموارض<sup>(١)</sup>.

وهناك في مجلس نظام الملك بعسكر نيسابور<sup>(٢)</sup> وجد الغزالي من الوزير إقبالا فائقا وعناية شديدة لما أنسه فيه من التبصر في العلوم، غير أن الطريق إلى المجد والشهرة لما كان ينقصه الطرف الثاني المسكّل لحلقة المجد وهو التدريس بنظامية بغداد كما سيأتي — كان على الغزالي — وقد طمع فيه — أن يعبر إليه عن طريق سبر محصوله العلمي من خلال احتكاكه بالعلماء وهو أمر خطير لا نشك أن الغزالي قد أعطاه حقه من الاعتبار فأضاف إلى محصله العلمي السابق محصولا جديداً وغزيراً يضمن به التفوق ويحقق به الطموح خاصة ومجالسو نظام الملك يكونون صفوة العلماء وخيرتهم والمبرزين فيهم .. قد يكون هذا المحصول العلمي الجديد الثمر عن طريق استعارة كتب من مكتبة نظامية نيسابور بحكم صلاته بها وقت أن كان طالبا تحت إشراف الجويني، وقد يكون عن طريق الاطلاع على ما تضمنه مكتبة نظام الملك التي لا نشك في أنها كانت زاخرة بالكتب في مختلف الفنون وقد يكون ذلك بمختلف السبل التي كانت مهياة له وقت ذاك.

على كل نرى أن الغزالي قد تسلح للمعركة واستعد لها استعدادا

(١) الفتح بن علي بن محمد البغدادي الاصفهاني: تواريخ آل سلجوق: وهذا الجزء مشتمل على كتاب زبدة البصرة ونخبة المعصرة من إنشاء الإمام عماد الدين محمد بن محمد بن حماد الاصفهاني طبع أبريل سنة ١٨٨٦ م ص ٥٥ إلى ص ٥٩.

(٢) راجع عن عسكر نيسابور ياقوت: معجم البلدان ج ٣ ص ٦٧٧.



يبلغه الهدف وذلك بدراسته أكثر فأكثر لسكل ماتقع عليه عينه من كتب قد تفيده في الملاحم العلمية التي يدخل معممها كل يوم . ولما كان الغزالي ذكيا بطبعه فقد أ كسبته الدراسة الشخصية بجانب دراساته الماضية على الأساتذة التنوق الباهر على الاقران والانتصار الكامل عليهم في كل المجالات التي خاضها معهم في سبيل الهدف ولم يكن تمت بد أمام العلماء وقد بهرهم الغزالي إلا أن يسلموا له الأمامية ويقروا له بالفضل ويوافقوا على تلقيبه بمختلف الالقاب التي أطلقها عليه نظام الملك وغيره <sup>(١)</sup> كما لم يكن أمام الوزير نظام الملك نفسه بد وقد أدعشه علم الغزالي وتنوعه أن يبعثه إلى بغداد بمرسوم يعينه به أستاذاً لأشهر مدرسة فيها وفي العالم الاسلامي أجمع وهي المدرسة النظامية ( كمل بناؤها في ذي القعدة سنة ٤٥٩ هـ ) القائمة على فنشر العقائد السنية <sup>(٢)</sup> في مقابلة الأزهر ( كمل بناؤه في يوم ٩ رمضان سنة ٣٦١ هـ ) القائم على

- 
- (١) السبكي : الطبقات ج ٤ ص ٠٣ ، ونفس الجزء ص ١٠٧ نقلا عن كلام عبد الغافر الفارسي المعاصر للغزالي وابن عساكر : تبين كذب المفترى ص ٢٩٢ وابن خلكان : وفيات الاعيان والذهبي : سير أعلام النبلاء مخطوط والياغمي الياني مرآة الجنان وعبرة اليقظان والعيبي : عقد الجمان مخطوط ، والزبيدي . تحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ( نقلا عن السبكي ) .
- (٢) ابتدى في بناء المدرسة في سنة ٤٥٧ هـ وتمت عمارتها في ذي القعدة سنة ٤٥٩ هـ وجددت سنة ٥٠٤ هـ راجع ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر ٦٣ ص ٤٦٩ وابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٩٢٩ أثناء حديثه عن مدينة السلام بغداد، وزكي مبارك : الأخلاق عند الغزالي ص ١٩ .

نشر العقائد الشيعية<sup>(١)</sup> .

الطرف الثاني : المدرسة النظامية ببغداد .

ودخل الغزالي بغداد أستاذاً للمدرسة النظامية في جمادى الأولى سنة ٤٨٤ هـ مبتدئاً بذلك الجانب الثاني المسكّل لملقمة المجد .

وكانت للمدرسة النظامية قد كمل بناؤها في ذى القعدة سنة ٤٥٩ هـ ولما يزل الغزالي في التاسعة من عمره وتعاقب على التدريس فيها قبله كل من :

١ — أبو نصر<sup>(٢)</sup> بن الصباغ ( ولد سنة ٤٠٠ هـ وتوفى سنة ٤٧٧ هـ ) .  
كان فقيه العراق وكان يضاهى أبا إسحاق الشيرازي ويقدم عليه في معرفة المذهب وغيره ... من تصانيفه ( الشامل ) و ( الكامل ) وتذكرة العالم والطريق السالم ) ولما تدرّس النظامية ببغداد قبل أبي إسحاق عشرين يوماً بدأها بيوم السبت ١٠ ذو القعدة سنة ٤٥٩ هـ وذلك تغطية للفراغ الذي أحدثه تخلفه عن التدريس فيها في الموعد المحدد<sup>(٣)</sup>

(١) شرح في بنائه السبت لست بدين من جمادى الأولى ٥٩٠ هـ ركل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ راجع المقرئى . الخطوط ج ٢ ص ٢٧٣ وزكى مبارك : الأخلاق عند الغزالي ص ١٩ .

(٢) ورد في العبر لابن خلدون ج ٦ ص ٤٦٩ ( أبو منصور ) بدلا عن أبي نصر ولعله خطأ لأن كل المراجع تجمع على ( أبي نصر ) وحق ابن خلدون نفسه في ج ٥ ص ١٣ من نفس كتاب العبر يذكره باسم ( أبي نصر ) .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ج ٩ ص ١٢ ، ١٣ رقم الترجمة ١٤ وراجع أيضاً ابن العماد : شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٠٧ وابن خلدون : العبر ج ٥ ص ١٣ ، ج ٦ ص ٤٦٩ والسيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ .

٢ — أبو إسحاق الشيرازي ( إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزابادي ) صاحب التنبيه والمهذب في الفقه ، بنى له نظام الملك المدرسة النظامية على شاطئ دجلة<sup>(١)</sup> فلما سمع أن في مكانها غصبا امتنع فلم يزل العميد أبو سعيد يرفق به بتنفيذ الأوامر نظام الملك حتى قبل الدروس بها وحضر يوم السبت مستهل ذي الحجة سنة ٤٥٩ هـ وألقى الدرس بها إلى أن توفي في سنة ٤٧٦ هـ<sup>(٢)</sup> .

٣ — عبد الرحمن بن مأمون بن علي أبو سعد المتولي ( ولد سنة ٤٢٦ هـ — ٤٧٨ هـ ) ولي التدريس سنة ٤٧٦ هـ بعد الشيرازي فدرس الأصول مدة ثم قال الفروع أسلم<sup>(٣)</sup> غير أن نظام الملك لم يرتض تعيينه فعزل<sup>(٤)</sup> .

٤ — الإمام أبو نصر بن الصباغ عين هذه المرة أستاذا رسميا للمدرسة واستمر مدرسا بها إلى أن توفي بكرة الثلاثاء ثالث عشر جمادى الأولى سنة ٤٧٧ هـ<sup>(٥)</sup> .

- 
- (١) السبكي طبقات الشافعية ج ٣ ص ٨٨ فابعدا .
- (٢) السيوطي حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٨٤ إلى ١٨٦ وابن خلدون :  
العبر ج ٥ ص ١٣ .
- (٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ ص ١٨ رقم الترجمة ٢١
- (٤) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١٣ تحت عنوان مقتل الوزير نظام الملك ويلاحظ أن الاسم مسجل في الجزء ١٠٠٠ أبو سعيد بدلا من أبي سعد كما يأتي ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ ص ١٨ رقم الترجمة ٢١ المنتظم ١٢ ، ١٣ رقم الترجمة ١٤ وراجع أيضا العبر ابن خلدون ج ٥ ص ١٣
- (٥) ابن الجوزي : ج ٩ ص ١٢ ، ١٣ رقم الترجمة ١٤ وراجع أيضاً العبر : ابن خلدون ج ٥ ص ١٣

٥ — الشريف الطوى أبو القاسم الدبوسى تولى التدريس بالنظامية بعد وفاة ابن الصباع فى يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الأولى سنة ٤٧٧ هـ إلى أن توفى هو نفسه فى سنة ٤٨٢ هـ<sup>(١)</sup>

٦ — أبو عبدالله الطبرى ( الحسين بن على بن الحسين )<sup>(٢)</sup> الفقيه الشافعى ( ولد سنة ٤١٨ هـ وتوفى سنة ٤٩٨ هـ ) كان محدث مكة ونزيلها جرت له فتن وخطوب مع هياج ابن عبيد وأهل السنة بمكة وكان عارفا بالمذهب الأشعرى قاله فى العبر وقال ابن قاضى شعبة ثم لازم الشيخ أبا إسحاق الشيرازى حتى برع فى المذهب والخلاف وصار من عظماء أصحابه كان يدعى إمام الحرمين لأنه جاور بمكة نحو من ثلاثين سنة يدرس ويفقى ويسمع .. ألف كتاب العدة من خمسة أجزاء ضخمة<sup>(٣)</sup> شرحا على إبانة الفواري .. درس بالنظامية منفردا ثم لما عين القاضى للتدريس اشترك فيها معه فكان يدرس كل منهما يوما<sup>(٤)</sup> إلى جمادى الأولى سنة ٤٨٤ هـ

- 
- (١) ابن خلدون : العبر ج ٥ ص ١٣ تحت عنوان مقتل الورير نظام الملك .  
 (٢) هكذا فى ابن العماد : شذرات الذهب ج ٣ ص ٤٠٨ وابن عساكر : تبين كذب المنبرى ص ٢٧٧ ، ٢٨٨ وفى السبكي « الحسن بن على » راجع السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ١٥٢ ويلاحظ أن ابن خلدون قاله أبو عبد الله الطبرى ، ولم يتعرض لاسمه ، العبر ج ٥ ص ١٣  
 (٣) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٣ ص ٤٠٨ وابن خلدون العبر وابن قاضى شعبة : تراجم رجال القرنين .  
 (٤) السبكي : طبقات الشافعية ج ٣ ص ١٥٢

٧ — القاضي عبد الوهاب الشيرازي<sup>(١)</sup> ولي تدريس النظامية على الرغم من وجود الطبري بها وحلا للاشكال<sup>(٢)</sup> اتفقنا على التناوب في التدريس يوما بيوم إلى أن عزلا معا في جمادى الأولى سنة ٤٨٤ هـ ليتيحها المجال خلفهما الإمام الغزالي<sup>(٣)</sup> بتوقيع من نظام الملك<sup>(٤)</sup>

الغزالي والمدرسة النظامية : —

٨ — ثم جاء الغزالي استاذاً ثامناً للمدرسة في تاريخها<sup>(٥)</sup>. وبوصوله إليها واستقراره بها بتوقيع نظام الملك (ولد سنة ٤٠٨ هـ وتوفي ٤٨٥ هـ) تحقق له آخر مطمع من مطامعه إن كان لمطامع الإنسان حدود إذ كان منصب الأستاذية بنظامية بغداد في نظر الناس آنذاك ، هو المنصب الأعلى في الدين<sup>(٦)</sup>. وبدأ الغزالي التدريس لمختلف العلوم الدينية ما عدا الحديث والنحو

(١) هكذا في ابن خلدون ، العبر ، ج ٥ ص ٣ ؛ روى السبكي ، أبو محمد القاضي ، راجع الطبقات ج ٣ ص ١٥٢  
(٢) هناك نص أنسيت مرجعه يشرح انفاقهما على حل الإشكال رآظه في طبقات السبكي .  
(٣) ابن خلدون : العبر ج ٥ ص ١٣ والسبكي : طبقات الشافعية ج ٣ ص ١٥٢ .

(٤) بعد أن هجر الغزالي المدرسة في سنة ٤٨٨ هـ قام أخوه أبو الفتوح أحمد بالتدريس فيها فترة ثم أعيد تعيين الطبري أستاذاً للمدرسة . راجع السبكي طبقات الشافعية ج ٣ ص ١٥٢ ، ج ٤ ص ١٠٤ وراجع عن تعيين أبو الفتوح المراجع الآتية : ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤ — ٣٥ .  
(٥) راجع تكملة الجزء الثاني من النجوم الزاهرة لابن تغري ص ٢٨٧ .  
(٦) الغزالي : المنقذ من الضلال ص ٢٧ ، ٣٨ ،

فيما نرجح إذ كانت بضاعته فيهما مزجاة<sup>(١)</sup> أو قل كان له في ذلك رأى خاص جعله يعرض عن التعمق فيهما مقتصرًا في النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة وفي الحديث على تصحيح نسخة رجل خبير بعلم متن الحديث<sup>(٢)</sup> وفي المدرسة عن الغزالي بصفة خاصة بتدريس الفقه وعلى الأخص الفقه الشافعي إذ المدرسة - كما يقول ابن الجوزي - وقف على أصحاب الشافعي أصلاً وفرعاً وكذلك الأملاك الموقوفة عليها شرط فيها أن تكون على أصحاب الشافعي أصلاً وفرعاً وكذلك شرط في المدرس الذي يسكون بها والواعظ الذي يعظ بها ومتولى الكتب ، وشرط فيها أن يسكون فيها مقرأ يقرأ القرآن ونحوه يدرس العربية : وفرض لكل قسطاً من الوقف<sup>(٣)</sup> .

ولم يلبث الغزالي فترة يسيرة بالمدرسة حتى أعجب بتدريسه الجميع من مؤيديه له في المذهب ومخالفين وانضم إلى حلقته أو على الأصح حضر دروسه ، الأئمة الكبار لا من مذهبه فحسب بل من أصحاب المذاهب الأخرى كابن عميل وأبى الخطاب الحنبليين رغم ما بين الحنبلية والأشعرية من بغض . يقول ابن الجوزي (وتعجبوا من كلامه واعتقدوه فائدة ونقلوه في مصنفاتهم)<sup>(٤)</sup> .

- (١) الزيدى : أنحاف السادة المتقين بشرح أسرار علوم الدين وراجع ابن الملقن طبقات الشافعية مخطوط . نقل النص العثمان في سيرة الغزالي ص ١٤٤
- (٢) الغزالي : إحياء علوم الدين ص ٣٦ وراجع رسالة أبيها الولد للغزالي ص ١٢٧ من بحرعة القصور العوالي من رسائل الامام الغزالي .
- (٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ ص ٦٥ - ٦٦ وفيات سنة ٤٨٥ هـ أثناء ترجمته لنظام الملك رقم ١ ترجمة ١٠٣ .
- (٤) ابن الجوزي : المنتظم مادة وفيات سنة ٥٠٥ .

غير أن الغزالي ، وهو يلحظ هذا الاعجاب ، خشى ما قد يعقبه من تبعات ، لمن يريد المحافظة عليه فهو :

١ - ليس من مواطني بغداد ، وعلماء بغداد - آنذاك - أكثر الناس حسدا لما يحظى به الأجانب من عناية وتقدير<sup>(١)</sup>.

٢ - عين للتدريس بعد عزل كل من الطبري وعبد الوهاب الشيرازي . ولا يستبعد هو ان يحصل له من العزل ما حصل لذيمك أو على الأقل يفاجأ بقاءه بين أستاذ جديد يضطر لمقاسمته في التدريس ، يوما له ويوما للآخر كما فعل بالطبري حين عين الشيرازي .

٣ - كان صغير السن بالنسبة للطبري إذ كان عمره ٣٤ عاما تقريبا<sup>(٢)</sup> .  
 بينما عمر الطبري ٦٦ عاما وعلى الرغم من أن هذا ليس صغرا بالمعنى المفهوم إلا أنه قد يتخذت كآفة لمن يحاول اختلاق لأسباب ، أدرك الغزالي كل ذلك وربما غير ذلك ، ولكن لما لم يكن أمامه مخرج يطمئن به على موقفه غير أن يتداوى بنفس الداء أو بعبارة أخرى يحرص على المزيد في العلم الذي يخشى عاقبة أمره فيه . فقد قسم أوقاته على<sup>(٣)</sup> :

١ - تدريس المعلوم الشرعية لطلاب نظامية بغداد الذين بلغ عددهم أحيانا ثلاثمائة طالب .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٩١ .

(٢) في المذهبي ( وسنه نحو الثلاثين ) راجع سير أعلام النبلاء مخلوط

(٣) الغزالي : المتقصد ص ١٨ .





قال هبة الله بن المبارك السقطي - فأنكرت ذلك عليه فقال قد استغنى عنها بدار الكتب النظامية ، قال المصنف <sup>(١)</sup> بيع الكتب بعد وقفها محذور فقال : قد صرفت ثمنها في الصدقات <sup>(٢)</sup> .

بهذه الثقافة الدراسية وبذلك المصنفات الكثيرة البديعة السهلة الأسلوب، وبذلك العدد الضخم من الطلاب ركز الغزالي أقلامه في المدرسة ونشر شهرته عبر البلاد .

وفي خلال هذه الفترة التي قضاها الغزالي بالمدرسة والتي لا تتجاوز في مجموعها أربع سنوات ( أعجب الخلق حسن كلامه ، وكال فضله ، وفصاحة لسانه ، ونسكته الدقيقة ، وإشاراته اللطيفة ، وأحبوه وصار عندهم عظيم الجاه ، زائد الحشمة على المرتبة ، مسموع الكلمة ، مشهور الاسم تضرب به الأمثال وتشدد إليه الرحال <sup>(٣)</sup> ثم تطور الإعجاب حتى فاق بذلك الأكابر والأسراء ودار الخلافة <sup>(٤)</sup> ، وصار إذا ما صدر فتوى نفذتها طوعا أو كرها دار الخلافة ودار السلطنة ، معرضين عما قد يجد بعضهم من ثغرات في الفتاوى الأخر قد تحقق لهم مطامعهم وترد لهم كرامتهم .. يحكى المؤرخون أنه في سنة ٤٨٥ هـ وهي السنة الثانية للغزالي

(١) سياق الحديث يفيد أن المعنى المصنف هنا هو هبة الله بن المبارك السقطي المشار إليه في النص .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ ص ٤٢ ، ٤٣ رقم الترجمة ٦١ وفيات سنة ٤٨٠ هـ .

(٣) السبكي طبقات الشافعية ج ٤ ص ١٠٤ .

(٤) السبكي نقلا عن عبد الغافر الفارسي راجع الطبقات ص ١٠٧ .

بالنظامية توفي السلطان ملكشاه فأخفت زوجته ( ترکان خاتون الجلالية )  
الخبر وسارت بشلوه إلى أصهبان وأفاضت الأموال في الأمراء والعساكر  
ودعتهم إلى بيعة ولدعا محمود وهو ابن أربع سنين أو خمس سنين  
وعشرة أشهر<sup>(١)</sup> فاجابوا إلى ذلك وبايعوه وأرسلت إلى القنندر في  
الخطبة له فأجابها على أن يكون الأمير ( انز ) قائما بتقدير الملك ومجدد  
الملك مشيرا وله النظر في الأعمال والجباية فأبت الأم إلا أن يسند ذلك  
كله إلى أبنها مع السلطنة فلم يجب الخليفة وقال هذا لا يجوز الشرع  
واستفتى الفقهاء فأفتى أبو حامد الغزالي وقال إن الشرع لا يجوز ولاية  
أبنك وقال : المشطب بن محمد الحنفي يجوز مارامته الأم فغلب قول  
الغزالي وقبلت الأم الشرط<sup>(٢)</sup> دون أن تتشبت برأى المشطب مع أنه في صالحها  
وصالحها بها . وفي هذا ما فيه من تأكيد ما اكتسبه الغزالي من تقدير  
واحترام ونفاذ رأى عند العام والخاص في أثناء تلك المرحلة ، فإذا ما أوصفت  
إليه غيره مما نقلناه عن بعض من ترجوا للغزالي أمكنك أن تتصور إلى أي  
حد نجح الغزالي في الطرف الثاني الموحد لحاكمة المحدث .

( د ) مرحلة الغزالي الدراسية ( أو مرحلة التدقيق والسكوك ) :

بأنهاء مرحلة التثقيف الشخصي وبناء الشهرة انتهى الغزالي من  
دراسة أهم ما أنتجته الأفسكار في حق العلوم الشرعية والعلمية غير أنه

( ١ ) ذكر الرقم الأول ابن خلدون في العبر ج ٥ ص ١٣ وذكر الرقم

لثاني ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ ص ٦٢ ، ٦٣ .

( ١ ) ابن خلدون : العبر ج ٥ ص ١٣ وابن الجوزي : المنتظم ج ٩

ص ٦٢ - ٦٣ وفيات سنة ٤٨٥ هـ .

بقى عليه وقد اطلع على كنهه مقاصد المتصوفة في الناحية العلمية - أن يتمم دراسته للتصوف بانتهاج سبيل الذوق والسلوك<sup>(١)</sup> وهو الجانب الهام من جوانب الدراسة الصوفية .

وهنا انتاب الغزالي القلق والاضطراب والضعف . أيقدم على سلوك هذا الجانب وأول مرحلة فيه لا تتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال والحرب من الشواغل والعلائق<sup>(٢)</sup> بما في ذلك المدرسة النظامية التي كانت وما تزال إلى عهده منتهى طموح كل عالم باعتبارها المنصب الأعلى في الدين<sup>(٣)</sup> ؟ أم يكتفى بما حصل عليه من هذا العلم عن طريق التلم والسماع<sup>(٤)</sup> حتى لا يفتقد هذا الجاه العريض والشأن المنظوم الخالي عن التكدير والتغريض ، والأمر المسلم الصافي عن منازعة الخصوم<sup>(٥)</sup> ؟ .

انتابت الغزالي هذه الحيرة وصار كلما صمم العزم على مواصلة الدراسة بالعزلة حله مرة أخرى<sup>(٦)</sup> تحت تأثير ظروف الاخترام والتقدير والتبجيل المحيطة به وبقي على ذلك ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وأربعمائة<sup>(٧)</sup> .

وأخيرا انتصر طريق الدراسة على طريق الجاه لا بتأثير منه ولكن بأمر خارج عن حوله وقوته اضطر إلى التسليم به اضطرارا إذ أقفل الله لسانه حتى اعقل عن التدريس<sup>(٨)</sup> وصار يبحث لوبقى على هذه الحالة

- |                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| (١) الغزالي : المنقذ ص ٣٦ . | (٢) الغزالي : المنقذ ص ٣٦ . |
| (٣) الغزالي : المنقذ ص ٣٨ . | (٤) الغزالي : المنقذ : ٣٥ . |
| (٥) الغزالي : المنقذ : ٣٧ . | (٦) الغزالي : المنقذ ص ٣٦ . |
| (٧) الغزالي : المنقذ ص ٢٧ . | (٨) الغزالي : المنقذ ص ٣٧ . |

للفظه الطلاب قبل أن يلفظه المستولون ؛ إما بمزله أو بمضايقة بأستاذ جديد .

وعلى ذلك لم يكن أمام الغزالي بد من مواصلة الدراسة . وهكذا فعل .

وقد اكتشف أول ما اكتشف وهو يبدأ دراسته هذه أن كل ما درسه في الماضي من علوم لا يساوي شيئاً بالنسبة لهذا العلم الجديد أو قل إنه يمثل فقط الدهليز بالنسبة لعلم الذوق والسلوك<sup>(١)</sup> .

فهو علم أول شروطه (تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى)<sup>(٢)</sup> بقطعه عن كل العلائق التي تربطه بالدنيا من مال وأهل وولد ووطن وعلم وولاية وجاء وغيرها مع عدم انشغاله بذلك بحيث يصير قلبه في حالة يستوى فيها وجود كل شيء وعدمه .

ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب بمجموع الهم لا يفكر فيما سوى الله مع اجتهاده في أن لا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا كتب حديث ولا غيره<sup>(٣)</sup> إذ أن ذلك يلحقه بسالكى طريق الحواس المبنى على استفادة العلوم من التعاليم — في حين أن طريق الذوق والسلوك بعد السالك له للعلوم الإلهية بحيث يكون ما تحصل عليه في النهاية من علوم الدنيا أضعاف أضعاف ما تحصل رقيقه الآخر من فنون العلوم<sup>(٤)</sup> يقول الغزالي :

(١) الغزالي : المنقذ ص ٣٩ . (٢) الغزالي : المنقذ ص ٣٩ :

(٣) الغزالي : الاحياء ج ٣ ص ١٧ ، ١٧ .

(٤) الغزالي : الاحياء ج ٣ ص ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .

( القلب له بابان باب إلى خارج وهو الحواس وباب إلى الملائكة من داخل القلب وهو باب الإلهام والنفث في الروع والوحى فإذا أقر بهما الإنسان لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الأسباب المألوفة ، بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلاً إليه<sup>(١)</sup> وهذا ما أقر به علماء الفقه وأن استوعروه واستبطئوا ثمرته<sup>(٢)</sup> .

فإذا ما فرغ المريد من أول شروط هذا العلم التي ذكرناها انتقل إلى مفتحة الجارى منه مجرى التحريم من الصلاة<sup>(٣)</sup> وذلك بأن يجعل قلبه مستغرقاً بذكر الله مواظباً عليه<sup>(٤)</sup> مواظبة تؤول في النهاية إلى أن يبقى معنى الذكر مجرداً في قلبه حاضراً فيه كأنه لازم له لا يفارقه<sup>(٥)</sup> لا امتزاجه منه باللحم والدم .

فإذا ما توصل إلى ذلك صار متعرضاً لنفحات الله التي منها العلم اللدنى — فيتكفل الله تعالى بتنوير قلبه بأنوار العلم ويفيض عليه الرحمة ويشرف فيه النور وينشرح منه الصدر<sup>(٦)</sup> وحينذاك يعلم يقيناً — كما حصل للغزالي أخيراً — ( أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلافهم أركى الأخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار

(١) الغزالي . الاحياء ٣ ص ٢٢ .

(٢) الغزالي : الاحياء ٣ ص ١٧ .

(٣) الغزالي : المنقذ : ص ٣٩ . (٤) الغزالي : المنقذ : ص ٣٩ .

(٥) الاحياء : ٣ ص ١٧ .

(٦) الغزالي : الاحياء ٣ ص ١٦ .

الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير  
منه ليجدوا إليه سبيلاً؛ فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهريهم وباطنيهم  
مقتضية من نور مشكاة النبوة وإيس وراء نور النبوة على وجه الأرض  
نور يستضاء به<sup>(١)</sup>

على أن كل ذلك لا يمثل غير الباب من هذا العلم فما بالك إذن  
بالبقية التي يصل فيها القلب إلى درجة الفناء في الله بالسكينة فناء ينتهي  
الأمر فيه إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الوصول يقول  
الغزالي : وكل ذلك خطأ، بل الذي لا يسته تلك الحالة لا ينبغي أن يزيد  
على أن يقول :

فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر<sup>(٢)</sup>  
إذن فهي - كما ترى - مرحلة من الثقافة والدراسة نجمها وقد نتمتع  
بها ونستخر ونستهزئ باعتبارها هذياناً لا يقبله العقلاء<sup>(٣)</sup> ونحن في ذلك  
معذورون لأننا كما يرى الغزالي لم نسلك إلا سبيل الحواس والحواس باب  
من أبواب القلب يؤدي إلى خارج - أما الباب الآخر المؤدى إلى الملكوت  
فهو باب الإلهام النابع من داخل القلب<sup>(٤)</sup> ولتوضيح ذلك يقول الغزالي  
( اعلم أن عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس لأن القلب أيضاً

(١) الغزالي : المنقذ : ص ٣٩ .

(٢) الغزالي : المنقذ ص ٣٩ - ٤٠ والمقصد الاسف للغزالي .

(٣) الغزالي : المنقذ ص ٤٠ .

(٤) الغزالي : إحياء علوم الدين ص ٣٦ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٢ .

خارج عن إدراك الحس وما ليس مدركاً بالحواس تضعف الافهام عن دركه إلا بمثال محسوس عن إدراك الحس ونحن نقرب ذلك إلى الافهام بما لو فرضنا حوضاً محفوراً في الأرض احتمال أن يساق إليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع عنه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي فينبجر الماء من أسفل الحوض. ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر فذلك القلب. بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى - يمتلىء علماً ويمكن. أن تسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وفض البصر ويعمد إلى علق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله فان قلت فكيف ينفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم أن. امن عجائب أسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة<sup>(١)</sup>.

إذن فهو على أى حال نوع من الثقافة والدراسة حصله الغزالي أثناء عزله الدراسية ولما كان الشرط في مثل هذه الثقافة أن لا تنال عن تحصل ما صنفه المصنفون<sup>(٢)</sup> فليس أمامنا وقد جهلنا ذلك إلا نصدق الغزالي في قوله: (وانسكشت لى فى أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاءها واستقصاؤها)<sup>(٣)</sup> وكل ما نعرفه عن هذه الرحلة أنه تعلم فيها

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين ٣ ص ١٧، ١٨.

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين ٣ ص ١٦.

(٣) الغزالي: المنقذ من الضلال ص ٣٩.

على الشيخ أبي علي الفارمذي<sup>(١)</sup> ، وقضى بها إحدى عشرة سنة بدأها في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة بخروجه من بغداد وانتهى منها في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وأربعمائة<sup>(٢)</sup> .

هـ - مرحلة ما بعد العراق :

إذا سلمنا - ولا أرى ما يمنع - بما جاء في المرحلة السابقة من إمكان استقاء المعلومات لا عن طريق السكتب والمصنفات أمكننا أن نقرر أن الغزالي وقد بدأ هذه المرحلة كانت حصيلته من الثقافة ذات شطرين هما :

١ - الشطر الأول : الثقافة الحسية وقد شرحناها فيما مضى .

٢ - الشطر الثاني : الثقافة الصوفية ونعني بها هنا تلك الثقافة النابعة من باب الإلهام لا من باب الحس وهي ثقافة يعتز بها الغزالي وينخر حين يقارنها بثقافة الحسية السابقة على مرحلة العزلة الدراسية ، يقول « وكيف يقاس الدوام الأبدى بدوام المتغير الفاسد وكذلك شدة الوصول فكيف يكون ما وصوله علاقة السطوح والأجسام بالقياس إلى ما وصوله بالسرّيان في جوهر الشيء كأنه هو بلا انفصال إذ العقل والمعقول واحد أو قريب من الواحد<sup>(٣)</sup> » ويوضح ذلك أكثر في كتابه

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم . وفيات سنة ٥٠٥ هـ ، والسبكي : طبقات الشافعية الكبرى .

(٢) الغزالي . المنقذ من الضلال ص ٤٩ .

(٣) الغزالي : معارج القدس القاهرة ١٩٢٧ .



مشكاة الأنوار فيقول موازناً بين عين البصر الحسية وعين الروح الإلهامية . « إن البصر لا يدرك ذاته ولكن الروح مدركة لذاتها والبصر لا يرى البعيد كما يرى القريب ولا يرى من وراء حجاب في حين أن الروح تكشف عن حقائق الأشياء وتهتك عنها الحجاب، والبصر إنما يدرك الأشياء ما ظهر منها والروح تدرك كنهها وحقيقتها والبصر لا يرى إلا جزءاً يسيراً من الوجود في حين أن مجال الروح هو الوجود بأسره<sup>(١)</sup> وعلى هذا فقد كان علم الغزالي في هذه المرحلة أكثر وأغزر من علمه في جميع المراحل السابقة .

## الفصل الثانى

### دور الغزالى فى علم الكلام

تمهيد :

تاريخ البحث والنقاش فى المسائل الكلامية ليس حديث العهد بالنسبة لعصر الغزالى — بل كان قديما قدم الإسلام نفسه فقد بدأ البحث فى مثل هذه المسائل أيام عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فصرح قوم بالقدر وآخرون بالجبر وفريق ثالث ، بتحسين والتقييح العقلين . وظهر — إلى جانب ذلك — من جادلوا فى ذات الله تفكرا فى جلاله وتصرفا فى أفعاله حتى منعهم الله وخوفهم بقوله تعالى : ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد الحال . وانقضى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الأعلى سنة ١٠هـ — ٦٣٤م وفى عهد الحسن البصرى (توفى سنة ١١٠هـ — ٧٢٨م) أعاد القول بالقدر وإنكار أن يضاف الخير والشر إلى القدر كل من معبد الجهنى (توفى سنة ٨٠هـ — ٦٩٩م) وغيلان الدمشقى توفى ١٠٥ — ٧٢٣م ويونس الأسوارى ونهج على منوالهم واصل بن عطاء الغزالى (٨٠ / ١٣١هـ — ٦٩٩ / ٧٧٨م) غير أنه اعتزلهم بالقول بالمنزلة بين المنزلتين فسمى هو وأصحابه معتزلة .

ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين نشرت أيام المأمون فخلطت منهاجها بمناهج الكلام وأفردتها فناً من فنون العلم.

وسميتها باسم الكلام؛ إما لأن أظهر مسألة تكلموا فيها وتناولوها مسألة الكلام فسمى النوع باسمها وأما نفا بلتهم الفلاسفة في تسميتهم فنا من فنون علمهم بالمنطق والمنطق والكلام متقابلان .

وكان أبو الهذيل العلاف شيخهم الأكبر ( ١٣٥ / ٨٢٢٦ - ٧٥٢ / ٨٤٠ م ) وافق الفلاسفة في أن البارئ تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته وقادر بقدره وقدرته ذاته كما أنه قال بمسائل في الارادة وأفعال العباد والقدر ، والآجال ، والأرزاق .

وفي أيام المعتصم ( استخلف سنة ٢١٨ هـ - ٨٣٣ م وتوفي ٢٢٧ هـ - ٨٤١ م ) غلا ابراهيم بن سيار النظام ( توفي ٢٣١ هـ - ٨٤٥ م ) في تقرير مذاهب الفلاسفة منفرداً في ذلك عن سلفه من محافظي الأمة وصحبه من المعتزلة .

ثم ظهر بشر بن المعتمر ( توفي سنة ٢٣٦ هـ - ٨٤٠ م ) منادياً بالتولد والأفراط فيه والميل إلى الطبيعيين من الفلاسفة وتلمذ له أبو موسى المرداد ( توفي حوالي سنة ٢٣٦ هـ - ٨٤٠ م ) وانفرد عنه بأبطال إعجاز القرآن من جهة الفصاحة والبلاغة وفي أيامه جرت أكثر التشديدات على السلف لقولهم بقدوم القرآن .

وكانت قد ظهرت جماعة من المعتزلة متوسطين مثل ضار بن عمر وحفص الفرد والحسين بن النجار من المتأخرين خالفوا الشيوخ في مسائل ونبغ فيهم جهم بن صفوان ( قتل سنة ١٢٤ هـ - ٧٤١ م ) في أيام نصر بن سيار توفي ١٣١ هـ وأظهر مقالته في الجبر بترمذ فقتله سالم ( ٥ - الفزالي )

ابن أحوز المازني في آخر ملك بني أمية ١٣١ هـ وكانت بين المعتزلة وبين السلف في كل زمان اختلافات في الصفات وكان السلف يناظرونهم عليها لا على قانون كلامي بل على قول اقناعي ويسمون الصفاتية لاثباتهم صفات الله تعالى كعمان قائمة بذاته أو لتشبيههم صفات الله بصفات الخلق وكلهم يتعاملون بظواهر القرآن والسنة<sup>(١)</sup>.

ولعل أبرز ما دار نقاش الصفاتية والمعتزلة حوله من المسائل هي :

١ - التوحيد ٢ - العدل ٣ - الوعد والوعيد ٤ - القول بالمنزلة بين المنزلتين ٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وهذه هي الأصول الخمسة التي بنى عليها المعتزلة مذهبهم وجادلوا الناس عليها، يقول الخياط : وليس أحد منهم يستحق اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة . . فاذا كملت فيه هذه الخصال فهو معتزلي<sup>(٢)</sup>

وكرر فعل لهذا التطرف من جانب المعتزلة انفصل أبو الحسن الأشعري ( توفي سنة ٣٢٤ هـ - ٩٣٥ م ) عن حلقتهم إثر مناظرة دارت بينه وبين أستاذه الحبائي ( ولد سنة ٢٣٥ هـ وتوفي سنة ٣٠٣ هـ ) حول مسألة من مسائل الصلاح والأصلح - وكان أن نادى بالتوسط بين الطرق فنفي التشبيه وأثبت الصفات المعنوية وقصر التنزيه على ما قصره

(١) الشهرستاني : الملل والنحل .

(٢) الخياط : الانتصار ص ١٢٦ والمسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ١٥ وأحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢١ .

عليه السلف وقال باتبات السمع والبصر والكلام القائم بالنفس كما أوضح أن أمر الإمامة لا علاقة له بعقائد الإيمان وإماما هو قضية مصلحة مرتكزا للاجماع.

وكثر أتباع الشيخ أبي الحسن وتوسع مذهبه بعد أن انضم إليه كل الصفاتية أو السلف وصار اسمه علما على المدرسة الجديدة التي بدأت تشق طريقها في ميدان الكلام حتى لقد عرفت باسم الأشاعرة بدلا عن الصفاتية أو السلف .

ولما كان رائد هذه المدرسة مساحا بكل أسلحة المعتزلة الجدلوية فقد حاول تأسيس مذهبه على دعائم ثابتة لا تزعمها حجج المعتزلة ولا يهزها فقدان ثمة السلف فيها فكان أن أيد مقالة السلف بمناهج كلامية وحجج منطقية ومسائل اقناعية كانت من جهة تطويرا لما سبقه عليه السكلابي والقلانسي والحارث المعاسي (توفي سنة ٥٢٤هـ) ومن جهة أخرى توطيدا وترسيخا لهذا المذهب الجديد الذي وصفه أحد أتباعه باللبن يخرج من الفرث والدم .

وتوفي أبو الحسن الأشعري وكاد المعتزلة بعده يستعيدون مكانتهم العلمية تحت ظل دولة بني أمية غير أن القاضي أبو بكر الباقلاني تصدى لهم ففند حججهم وأقام على انقاضها دعائم جديدة قوت من مدرسة سلفه الأشعري .

ويعد الباقلاني هذا أحد أعمدة المذهب الأشعري العظام إذ قام بمجهود جبار في نصرته المذهب كان من نتائجها أن انتشر للمذهب أكثر

من ذى قبل وبدأ اتباعه يخوضون المارك بأسلحة بعضها من اختراع الباقلانى .

وكان ابرز ما قام به الباقلانى فى تهذيب الطريقة الأشعرية هو أن وضع لها المقدمات العقلية التى تتوقف عليها الأدلة والأنظار مثل اثبات الجوهر الفرد والخلاء وأن العرض لا يقوم بالعرض وأنه لا يبقى زمانين وامثال ذلك مما توقف عليه أدلتهم وجعل هذه القواعد تبعا للعقائد الايمانية فى وجوب اعتقادها لتوقف تلك الأدلة عليها كما قال بأن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول .

ولما كان الباقلانى حرا فى تفكيره فقد وافق الأشعرى فيما هداه إلى مثله اجتماعه وخالفه فيما لم ير فيه رأيه فكان أن قال بأن البقاء ليس وصفا لله تعالى زائدا على الذات كما نادى بامبات الحال الذى أنكره الأشعرى .

وأعقب الباقلانى إمام الحرمين الجوينى ولد ٤١٩هـ وتوفى ٤٧٨هـ — ١٠٨٥م وكان مثل سابقه يسكره التقليد وينفر منه فكان من الطبيعى والحال هكذا أن لا يعقيد كثيرا بالأشعرى فيما لم ير فيه رأيه بل لقد اشتط به النكر أبعد من ذلك فخالف اجماع متكلمى المسلمين ونادى كالفلاسفة بأن الله يعلم الكلليات لا الجزئيات قائلا فى كتابه البرهان : تردد المتكلمون فى انحصار الأجناس كالألوان فقطع القاطعون بأنها متناعية فى الامكان كآحاد كل جنس وزعم أنها منحصرة وقال المقتصدون لا ندرى أنها منحصرة ولم يبينوا مذهبهم على بصيرة وتحقيق.

والذى أراه قطعاً أنها منحصرة فإنها لو كانت غير منحصرة لتعلق العلم بآحاد على التفصيل وذلك مستحيل فإن استنكر الجهلة وشبهوا بآنافهم وقالوا البارى تعالى هالم بما لا يتناهى على التفصيل سفهنا هوقلم وأحلنا تقرير هذا الفن على أحكام الصفات وبالجملة فعلم الله إذا تعاق بجواهر لانهاية لها فمعنى تعلقه بها استرساله عليها من غير تعرض لتفصيل الآحاد مع نفي النهاية فإن ما يحيل دخول مالا يتناهى فى الوجود يحيل وقوع تقارير غير متناهية فى العلم والأجناس المختلفة التى فيها الكلام يستحيل استرسال الكلام عليها فإنها متباينة بالجواهر وتعلق العلم بها على التفصيل مع نفي النهاية محال ، وإدراكنا لاحت الحقائق فإما فى الآخرق بعدها ماشاء ، غير أن الجوينى لم يثبت على هذا الرأى إذ ما لبث أن نقضه فى كتبه الأخرى .

#### الثورة المنهجية :

بجاء الغزالى ( ولد ٤٥٠ هـ — ١٠٥٨ م ) ( توفى ٥٠٥ هـ ) بعد الجوينى زعيماً للمدرسة فهاله وهو يبداً دراساته لعلم الكلام تلك السطحية فى التفكير التى اتسمت بها المدارس الفكرية <sup>(١)</sup> وهذا البعد الشاسع عن روح الدين <sup>(٢)</sup> وتعاليم الكتاب <sup>(٣)</sup> وأسلوب معالجته المسائل عامة والتوحيدية منها خاصة <sup>(٤)</sup> ورأى أنه من المناسب وقد تردى

( ١ ) الغزالى . القسطاس المستقيم ص ٦٠ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٩

( ٢ ) الغزالى : القسطاس ص ٨٠ ( ٣ ) الغزالى : القسطاس ص ٨٠

( ٤ ) الغزالى : القسطاس ص ٦١ فما بعدها

الناس إلى هذا الدرك أن يردم جميعاً إلى جادة الصواب وأن يهديهم  
سبيل القرآن ويعلمهم أسلوب النقاش والمجادلة<sup>(١)</sup> فالحق أحق أن يتبع  
سواء أ جاء عن طريقه هو أو عن طريق غيره إذ لا دخل للزمان في ذلك  
والإنما صح للأشعري مخالفة المعتزلة وقد سبقوه كما لا دخل للفضل في  
التفاوت في الفضل والعلم وإلا فبأي ميزان ومكيال تقدر درجات الفضل  
والعلم<sup>(٢)</sup> حتى يصح تفضيل الغزالي على غيره أو غيره عليه على أن الحق  
لا يعرف بالرجال وإنما إذا عرف الحق عرف أهله<sup>(٣)</sup>.

على هذا الأساس بدأ الغزالي دراساته النقدية لعلم الكلام ولما  
كان الغزالي مبرزاً في كل علم، خاصة وفي كل ميدان اقتحمه، فقد اعتبرت  
كتبه مرجعاً أساسياً للباحثين في ذلك العلم بل مالبث الناس أن تأثروا  
بها وأقبلوا على حفظها وتدوينها حتى بماء الذهب وظهرت مختلف  
الشروح لها والاختصارات لمضمونها تولى ذلك المؤيدون للغزالي  
والمناهضون له ؛ فابن الجوزي مثلاً لم يكن أمامه بد وهو يرى إقبال  
الناس على كتاب الأحياء للغزالي أن يعكف ويضع مابعداً له  
وكان الرأي السائد عند معظم الناس آنذاك أن كتب الغزالي تعتبر  
الباب للكتاب والسنة وعلى هذا فقد كان التقصير في معرفتها

---

( ١ ) الغزالي : قسطاس من ١٠ فيما بعدها

( ٢ ) الغزالي : في فصل التفرقة ص ١٢٧ فيما به ١٥ ( من مجموعة القصور

العوالي من رسائل الإمام الغزالي )

( ٣ ) الدكتور فتح الله خليف : فخر الدين الرازي ص ٣١ نقلاً عن مرآة.

الجنان لليافعي ص ٩ - ١٠



ودراستها يعتبر نقصاً يعاب عليه المثقف لافى المواطن التى عرفها الغزالي  
بل فى البلاد البعيدة التى لم يذهب إليها الغزالي أصلاً كحضر موت —  
واليمين وما إلى ذلك .

#### أسس المدرسة الغزالية :

وهذا لم يكن تأثير الغزالي فى علم الكلام — وهو موضوع هذا  
الفصل — بأقل من تأثيره فى بقية العلوم الأخرى فلقد درس الغزالي  
علم الكلام دراسة جادة فحصله وعقله ، وطالع كتب المحققين فيه منهم  
وصنف فيه ما أراد أن يصنف ولكن ما أن وجدته عملاً وافياً بمقصود المتكلمين  
غير واف بمقصوده إنبرى لنقده وتوضيح مثالب منهجه مبيناً خطأ  
المتكلمين وبعدهم عن الطريق السوى والنهج القرآنى، واضعاً فى سبيل البناء  
أسساً جديدة ومبادئ عامة دارت عليها أبحاث المعاصرين له والذين أعقبوه  
مما جعل لهذه المدرسة الغزالية صبغتها الخاصة التى تخالف صبغة المدارس  
الكلامية السابقة عليها وهأنذا أخلص هنا تلك الأسس التى اقتتها  
مدرسة الغزالي :

#### للازنة بين المعقول والمنقول :

١ — أن يوزن المعقول بالاسناد إلى المنقول ليكون القول منهما أسرع  
إلى القبول وذلك بأن يجعل المنقول أصلاً والمعقول تابعاً ورديفاً<sup>(١)</sup> وعلى ذلك .  
فتد أنكر التسليم بمستحسنات المعقول ورفض التعويل عليها لأنها

(١) الغزالي : القسطاس ص ٨٠ والرسالة الدنية ومدارج القدس ص

٥٠ — ٦١ وانظر مفتاح السعادة ص ٢٠ ص ٢٠

تقود إلى مقايضة الخالق على الخلق كما أنها تنتج نتائج تشهد موازين القرآن بفسادها وضرب مثلاً على ذلك :

(١) بما يراه المعتزلة من وجوب الصلاح والأصلح على الله تعالى قائلاً : لو كان الأصلح واجباً على الله تعالى لفعله ومعلوم أنه لم يفعله فدل على أنه غير واجب . وبعد ترديد لهذه القضية التي سبق عليها قال : نعم لفعل الأصلح سر يستمد من معرفة سر الله تعالى في القدر ولكن المعتزل لا ينظر من ذلك الأصل فإنه لا يطلع ببضاعة الكلام على ذلك السر فمن هذا خبط خبط عشواء واضطربت عليه الأراء<sup>(١)</sup> .

(ب) بما يراه المجسمة إذا قالوا إن الله تعالى جسم — قال الغزالي قلنا لم ؟ قالوا . لأنه فاعل صانع فكان جهاً قياساً على سائر الصانع والفاعلين ، وبعد أن ناقشهم الغزالي وأنكر عليهم ما يعتصمون به من إستقراء أو سبر أو صاف عباد فقرر في يقين بأنه : بسبب الغفلة عن دقائق البحث خبط المتكلمون وكثر نزاعهم أو تمسكوا بالرأى والقياس وذلك لا يفيد رد البقيين بل يصلح للاقسية البقية الظنية والإمامة قلوب العامة إلى صوب الصواب والحق فإنه لا يمتد فكرهم إلى الاحتمالات البعيدة بل ينجزم اعتقادهم بأسباب ضعيفة أما ترى العامى الذى به صداع يقول له غيره إسقمعل ماء الورد فأنى إذا كان فى صداع استعماته انتفعت به كأنه يقول هذا صداع فيحقه ماء الورد قياساً على

صداعى فيميل قلب المريض إليه فيستعمله ولا يقول له اثبت أولاً أن ماء الورد يصاح لكل صداع كان من البرودة أو من الحرارة أو من أبخرة المعدة وأنواع الصداع كثيرة فاثبت أن صداعى كصداعك ومزاجى كمزاجك وسنى كسنىك وصناعتى كصناعتك وأحوالى كأحوالك فإن جميع ذلك يختلف به العلاج فان طلب تحقيق هذه الأمور ليس من شأن العوام لأنهم لا يشوفون إليها ولا من شأن المكالمين لأنهم وإن نشوفوا إليها على خلاف العوام فلا يهتدون إلى الطرق المفيدة برد اليقين وإعماهى من شنشنة قوم عرفوها من أحمد صلى الله عليه وسلم وهم قوم اهتدوا بنور الله إلى ضياء القرآن وأخذوا منه الميزان بالقسط والقسطاس المستقيم فأصبحوا قوامين لله بالقسط<sup>(١)</sup>.

قال ذلك الغزالى وكرره فى كتبه وهو وإن لم يكن فى الأصل أول من دعا إلى ذلك إلا أن حرصه على توضيحه والدفاع عنه يظهره بمظهر البادى به.

النحرر من التقليد :

٢ — أن يتحرر من التقليد أيا كان نوعه ومصدره فلا يقلد والدا ولا رفيقا ولا أستاذا ولا مذهبا<sup>(٢)</sup> بل يعمل فكره ويجهده إن كان من

---

(١) الغزالى : القسطاس ص ٨ — ٧٧٦

(١) العقاد : التفكير ص ٤٧ والغزالى : المنقذ ص ١٦ والقسطاس ص ٦١

وفصل التفرقة ١٤٤ — ١٤٦

أهل الاجتهاد فما غاب على ظفه أنه هو الحق اتبعه أخطأ في ذلك أو أصاب وإن لم يكن من أهل الاجتهاد فيكيّفه أن يجتهد في النظر إلى الأئمة فمن رآه أفضل وصوابه أغلب على قلبه اتبعه مثله في ذلك مثل المريض يختار من الأطباء باجتهاده ما يغلب على ظنه أكثرهم فائدة له وسرعة في معالجته وحسب لدائه إذ انخلق لم يكلفوا الصواب عند الله فذلك غير مقدور عليه ولا تكليف بما لا يطاق بل كلفوا ما يظنونونه صوابا فان أصابوا في ذلك فافهم أجران وإن أخطأوا فافهم أجر واحد<sup>(١)</sup> والغرر البليد أعمى العميان في نظر الغزالي هو من يحجر على الغير العدول عن مذهب الأصحاب المتقدمين والمشايع التكلمين ويرى مخالفتهم ولو في قيد شبر كبرا ومباينتهم ولو في شيء نزر ضلال وخسران<sup>(٢)</sup> يقول الغزالي واعلمك إن أنصفت علمت أن من جعل الحق وقفا على واحد من النظار بعينه فهو إلى الكفر والتناقض أقرب. أما الكفر فلا أنه نزله منزلة النسي المصوم من الزلل الذي لا يثبت الإيمان إلا بموافقته ولا يلزم الكفر إلا بمخالفته، وأما التناقض فهو أن كل واحد من النظار يوجب النظر وأن لا ترى في نظرك إلا مارأيت وكل مارأيت حجة. وأي فرق بين من يقول قلدي في مجرد مذهبين وبين من يقول قلدي في مذهبي ودليلي جميعا وهل هذا إلا التناقض<sup>(٣)</sup>.

(١) الغزالي : القسطاس ص ٦٥

(٢) الغزالي : فيصل التفرقة، ص ١ ، ٢

(٣) الغزالي : فيصل التفرقة ص ٥ وراجع ميزان ص ٢٢٨

وعلى هذا فالأولى لكل إنسان أن يجانب الالتئامات إلى المذاهب وأن يطلب الحق بطريق النظر ليكون صاحب مذهب ، لا أن يكون في صورة أعمى يقلد قائداً وحوله ألف مثل قائده ينادون عليه بأنه أهلكك وأضلك عن سواء السبيل وستعلم في عاقبة أمرك ظلم قائدك فلا خلاص إذن إلا في الاستقلال .

خذ ماتراه ودع شيئاً سمعت به في طالع الشمس ما بغنيك عن زحل يقول الغزالي في آخر كتابه ميزان العمل : ولو لم يكن في مجارى هذه الكلمات إلا ما يشككك في اعتقادك الموروث لتنتدب للطلب فناهيك به نفعا إذ الشكوك هي الموصلة للحق فن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العدى والضلال، نعوذ بالله من ذلك<sup>(١)</sup>.  
توحيد الغاية :

٣ — أن لامعانة بين الشرع المنقول والحق المعقول وأن من حاول الاستغناء بأحدهما عن الآخر هو إلى الأغبياء أقرب منه إلى العقلاء إذ مثال العقل البصر السليم عن الآفات والأذى ومثال القرآن الشمس المنتشرة الضياء فأخلق بأن يكون طالب الاهتداء المستغنى إذا استغنى بأحدهما عن الآخر في غمار الأغبياء فالمعرض عن العقل مكتفياً بنور القرآن مثاله المعرض لنور الشمس مغمضاً للاجفان فلا فرق بينه وبين العميان فالعقل مع الشرع نور على نور .

والملاحظ بالعين العور لأحدهما على الخصوص متدل بجبل غرور

---

( ١ ) الغزالي : ميزان العمل . ص ٤٢٨ ، ٤٠٥ — ٤٠٩

وعلى هذا فكلما طرفى قصد الأمور ذميم وأنى يستتب الرشاد لمن يقنع بتقليد الأثر والخبر ويفكر مناهج البحث والنظر، أو لا يعلم أنه لا مستند للشرع إلا قول سيد البشر صلى الله عليه وسلم وبرهان العقل هو الذى عرف به صدقه فيما أخبره أو كيف يهتدى للصواب من اقتنى محض العقل واقتصر، وما استضاء بنور الشرع واستبصر فليت شعرى كيف يفرع إلى العقل من حيث يعتريه العي والحصر أو لا يعلم أن خطأ العقل قاصر وأن مجاله ضيق منحصر، هيهات قد خاب على القطع والثبات من لم يجمع بنأليف الشرع والعقل هذا الشئ (١).

تحديد الغرض :

٤ — أن لا يدع فنا من فنون العلم ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظراً يطالع به على غايته ومقصده ثم إن ساعده العمروا نته الأسباب طلب التبحر فيه فإن العلوم كلها متماونة مترابطة بعضها ببعض ويستفيد منه فى الحال حتى لا يكون معاديا لذلك العلم بسبب جهله فإن الناس أعداء ما جهلوا (٢).

على أن الغزالى — وقد أدرك استحالة الإحاطة لجميع العلوم فينبغى أن يأخذ من كل شئ أحسنه فيكتفى بشمعة من كل علم ويصرف الميسور من العمر إلى العلم الذى هو سبب النجاة والسعادة وهو غاية جميع العلوم وهى معرفة الله على الحقيقة والصدق فالعلوم كلها خدما لهذا العلم وهذا العلم حر لا يخدم غيره (٣).

( ١ ) الغزالى : الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٢، ٣ وميزان العمل ص ٣٣٧ - ٣٤١

( ٢ ) الغزالى : ميزان العمل ص ٨٤

( ٣ ) الغزالى : ميزان العمل ص ٢٤٩ - ٢٥٠

وفى رأيه أن العلوم ليست كلها فى درجة واحدة من الأهمية فعلم الفقه مثلاً الذى يحتاج إليه كل واحد صحيحاً كان أو مريضاً ليس كعلم الطب الذى لا يحتاج إليه غير المرضى <sup>(١)</sup> وحتى آيات القرآن ليست كلها فى مرتبة واحدة بل بعضها فاضل وبعضها منفضول فأية الكرسي مثلاً ليست كآية المداينات وسورة الإخلاص ليست كسورة تبت وهكذا مما يؤكد شرف بعض الآيات على بعض <sup>(٢)</sup> .

#### اختيار الأدلة :

هـ — أن يختار الباحث من الأدلة المنطقية ما يتناسب والقضايا التى يعرضها وليتجاش كل دليل يتطرق إليه احتمال السحر والتدليس والطمس وغيرها <sup>(٣)</sup> مما لا تكون له علاقة حقيقية بموضوع البحث إذ أن من يعلم أن العشرة أكثر من الثلاثة لا يمكنه أن يقتنع بدليل قلب العصا ثعباناً فى إثبات العكس <sup>(٤)</sup> فذلك يتطرق إليه التباس كثير فلا يوثق به بل إن من يؤمن بقلب العصا ثعباناً وشق القمر مثلاً فى إثبات نبوة سيدنا محمد يكفر بخوار العجل فى إثبات إله السامرى <sup>(٥)</sup> وفى هذا من التناقض ما فيه مما يشهد بعدم العلاقة بين القضية ودليها وإلا فأى فرق بين خوار العجل وبين قلب العصا فى إثبات الدعوى .  
جاء فى القسطاس للغزالي ما يأتى : إن ثلاثة أناس لو ادعوا عندك أنهم يحفظون القرآن فقال أحدهم برهانى أنه نص على السكائى

( ١ ) الغزالي - الأحياء ( ٢ ) الغزالي - جواهر القرآن

( ٣ ) الغزالي - القسطاس ص ٦٠ ( ٤ ) الغزالي المنقذ ص ١١

( ٥ ) الغزالي - القسطاس ص ٥٩

أستاذ المقرئين إذ نص على أستاذى وأستاذى نص على فسان السكائى  
نص على . وقال الثانى : إني أقلب العصا حية وقال الثالث : رهانى أن  
أقرأ جميع القرآن بين يديك من غير مصحف فليت شعرى أى هذه  
البراهين أوضح عندك وقابك بها أشد تصديقاً . فقال بالذى قرأ القرآن  
فهو غاية البراهين إذ لا يخالفنى فيه ريب — اما نص أستاذاه عليه ونص  
السكائى على استاذاه فيمتصور ان تقع فيه أغاليط ولا سيما عند طول  
الأسفارء واما قلب العصا حية فلعله فعل ذلك بحيلة وتلبيس وإن لم يكن  
تلبيسها فغايتها انه فعل عجيب ومن أين يلزم أن من قدر على فعل عجيب  
ينبغى أن يسكون حافظاً للقرآن<sup>(١)</sup> .

#### مراعاة أحوال المخاطبين :

٦ — استلهم أساليب القرآن فى مراعاة أحوال المخاطبين عند  
الجدل من كون بعضهم يقتنع بالحكمة وآخرون بالموعظة وفريق ثالث  
بالمجادلة طبقاً للآية القرآنية ( أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة  
الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن )<sup>(٢)</sup> فيستعمل مع أهل الحكمة  
الموازن القسط بأن يعلمهم كيفية الوزن بها ليرتفع الخلاف بينهم على  
قرب<sup>(٣)</sup> ويستعمل مع العوام الموعظة لقصور فهمهم عن الحكمة<sup>(٤)</sup>  
التي عواج بها الفريق الأول أما المجادلون فيدعهم بالتلطف إلى الحق

(١) الغزالى - القسطاس ص ٥٨

(٢) القسطاس ص ١٠ ، ١١ والجام العوام ص ٦٣

(٣) الغزالى - القسطاس ص ٦٢ (٤) الغزالى - القسطاس ص ٦٧



بأن لا يتعصب عليهم ولا يعنفهم بل يرفق ويجادل بالتي هي أحسن. فيسلم لهم الأصول التي يقرونها ليستنتج منها الحق بالميزان المحقق فان لم يقمهم ذلك رقامهم إلى تعليم الموازين فان أصرروا على تعصبهم والجأهم وعنادهم لم يكن بد من أن يعالجهم ببأس السلطان وبالسيف والسنان<sup>(١)</sup> وبالحديد الذي فيه بأس شديد وعلى نفسها جنت براقش وذلك كله طبقا للآية القرآنية التي يرى الغزالي أنها تتضمن نجاة الخلق من الاختلافات ودعى قوله تعالى : ( وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالنسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد )<sup>(٢)</sup> .

فالكناز — كما يقول الغزالي — للعوام يستفيدون منه الموعظة ، والميزان للخواص يرفع الخلاف بينهم على قرب ، والحديد الذي فيه بأس شديد للذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ولا يعلمون أن ذلك ليس من شأن وأنه لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم . يقول : ولولا اشتغال القرآن على ما ذكرنا لما صح تسميته نورا لأن النور ما يبصر بنفسه ويصير به غيره<sup>(٣)</sup> .

وعلى ضوء هذا التقسيم السابق بنى الغزالي عدة قضايا منها :  
١ — أن تعليم الكلام للعوام حرام لكثرة الآفة فيه<sup>(٤)</sup> وأنه من الخير للعامة أن يشتغل ولو بالمعاصي البدنية من أن يخوض في البحث

الغزالي القسطاس ص ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩

(١) الغزالي القسطاس ص ٦١ ، ٦٢

(٢) الغزالي القسطاس ص ٦٨ ، ٦٩ (٤) الغزالي: فيصل التفرقة ص ٣

عن معرفة الله فإن المعاصي غايتها الفسق والبحث للمعاصي غايته الشرك وأن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء<sup>(١)</sup> على أنه إن كان ولا بد من دليل فلا بأس أن يتعلم الدليل على معرفة الخالق - ووحدايته وعلى صدق الرسول وعلى اليوم الآخر ولكن بشرطين: أحدهما: أن لا يزداد معه على الأدلة التي في القرآن .

والآخر: أن لا يمارى فيه إلا مراء ظاهرا ولا يتفكر فيه إلا تفكرا سهلا جليلا، ولا يعمن في التفكير ولا يوغل غاية في البحث<sup>(٢)</sup> .

هذه هي الطريقة المثلى التي ينبغي أن يعرف بها الخلق جلال الخالق وعظمته فأما أدلة المتكلمين وتقسياتهم ومقدماتهم فانها تشوش قلوب العوام<sup>(٣)</sup> فتثير في نفوسهم الشبهات وتحرك العقائد وتزيلها عن الجزم والتصميم<sup>(٤)</sup> وقد تقود أيضا إلى إشعار العوام بأن وراء رسوم المتكلمين - صنعة يعجز عنها هو فيكون ذلك سببا لرسوخ العناد في قلبه<sup>(٥)</sup> على أن الحاصل من وراء كل صناعة الكلام أن لا حاصل وإنما هي جدليات لا تقود إلى يقين<sup>(٦)</sup> يقول: ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا من خبر الكلام ثم قل له بعد حقيقة الخبرة وبعد التغافل فيه إلى منتهى

(١) الغزالي: الجامع العوام ص ٢٥ ، ٢٦

(٢) الغزالي: الجامع العوام ص ٢٦ (٣) الغزالي الجامع العوام ص ٢٧

والافتصاد ص ٦

(٤) الغزالي: الاحياء ج ١ ص ٨٢ والرسالة القدسية

(٥) الغزالي: في فصل التفرقة ص ٣٠ والاحياء ج ١ ص ٨٧

(٦) الغزالي: ميزان العمل ص ٣٥٣ والرسالة اللدنية ص ٦

درجة المتكلمين وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم آخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة في هذا الوجه مسدود<sup>(١)</sup> وأنه هو شخصيا آمن بالله والنبوة وباليوم الآخر لا بدليل معين محدد بل بأسباب وقرائن - وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفصيلها<sup>(٢)</sup>، حاصلها أن الإيمان نور يقذفه الله في قلوب عبده عطية وهدية منه<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا فالأولى أن يرد العوام إلى صناعتهم متى نطقوا بكلمة الشهادة وعلّموا الصلاة والزكاة<sup>(٤)</sup> إذ الحق الصريح أن كل من اعتقد ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام واشتمل عليه القرآن اعتقادا جازما فهو مؤمن وإن لم يعرف دلالاته<sup>(٥)</sup> بدليل أن صاحب انشراح نفسه لم يطالب العرب في مخاطبته بإيادهم بأكثر من النصديق ولم يفرق بين أن يكون ذلك بإيمان وعقد تقليدي أو بيقين برهاني<sup>(٦)</sup> والتجربة والمشاهدة في مثل هذا الإيمان - وإيمان المتكلمين توضح أن الإيمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جدا مشرف على الزوال بكل شبهة في حين أن الإيمان الراسخ هو إيمان العوام الحاصل في قلوبهم في الصبا بتواتر السماع والحاصل بعد البلوغ بقرائن أحوال لا يمكن التعبير عنها<sup>(٧)</sup>.

(١) الغزالي : الأحياء ج ١ ص ٨٦ (٢) الغزالي : المنقذ ص ٣٦

(٣) الغزالي : فيصل التفرقة ص ٢٩

(٤) الغزالي : فيصل التفرقة ص ٣٠ والقسطاس ص ٦٣ - ٦٤

(٥) الغزالي : فيصل التفرقة ص ٣١ والقسطاس ص ٦٣ - ٦٤ والرسالة

الوعظية ص ٥ والجامع العوام ص ٥٧ (٦) الغزالي : الإقتصاد ص ٦

(٧) الغزالي : فيصل التفرقة ص ٣١ والجامع العوام ص ٥٩

(٦ - الغزالي)

### اسمةقصاء الحاصر :

٧- يرى الغزالي أن المتكلمين لم يهتموا بالاستقصاء الحاصر الذى يجمع شتات كل الأفراد ويدور بين النفي والاثبات إذ أن ذلك أمر صعب ، وكياسة المتكلمين ناقصة ولذلك تراهم يقولون أن كان فيه قسم آخر فابرزه، وربما قال الآخر لا يلزمنى ابرازه وطال الاجاج وربما استدلل القاييس وقال لو كان فيه قسم آخر لعرفناه ولعرفته فعدم معرفتنا قتل على نفي قسم آخر إذ عدم رؤيتنا للفيل فى مجاسنا لاندل على نقي الفيل ولا يدري قط هذا المسكين أنه لم نعهد قط فيلا حاضرا لم نره ثم رأيناه وكم رأينا حاضرة عجزنا جميعا عن إدراكها ثم تنبهنا لها بعد مدة فلعل فيه قسما آخر شذ عنا لسنا نتنبه له الآن وربما لم نتنبه له طول عمرنا (١)

### نوع الادلة المناسبة :

٨- يرى أن ردود المتكلمين على الفلاسفة لم تشتمل إلا على كلمات معقدة مبددة ظاهرة التناقض والفساد لا يظن الاغترار بها بعاقل عامى فضلا عن يدعى دقائق العلوم (٢) وفى رأيه أن ذلك يرجع إلى أنهم يعرفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق مما نتج عنه :

( أ ) عدم تشهيرهم عن ساق الجدل لتحصيل علم الفلسفة فإنه لا يقف

(١) الغزالي : القسطاس ص ٨٦ ، ٧٧

(٢) الغزالي : المنتقد من الضلال ص ١٨

على فساد نوع من العلوم من لا يتف على منتهى ذلك العلم حتى يساوى  
أعلمهم في أصل ذلك العلم ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع على ما لم  
يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة<sup>(١)</sup>.

(ب) إنهم وإن كانت فيهم كياسة ترقوا بها عن العوام إلا أن  
كياستهم ناقصة إذ أن في باطنهم خبثا وعنادا وتمصبا وتقليداً يمنعونهم  
عن إدراك الحق وتكون هذه الصفات أكنة على قلوبهم أن يفقهوه  
وفي آذانهم وقرا لكن لم تهلكهم إلا كياستهم الناقصة فإن القنطة  
البتراء والكياسة الناقصة شر من البلاهة بكثير<sup>(٢)</sup>.

(ج) تمثيلهم دور الصديق الجاهل في نصرتهم للإسلام حيث ظن  
البعض أن الدين ينبغي أن ينصر بإنكار كل علم منسوب إلى الفلاسفة  
فأنكر جميع علومهم وادعى جهلهم فيها حتى أنكر قولهم في انكسوف  
والكسوف وزعم أن ما قالوه على خلاف الشرع، فلما قرع ذلك سمع من  
عرف ذلك بالبرهان القاطع لم يشك في برهانه ولكن اعتقد أن  
الإسلام مبني على الجهل وإنكار البرهان القاطع فازداد للنسنة حبا  
وللإسلام بغضا . ولقد عظم على الدين جنابة من ظن أن الإسلام  
ينصر بإنكار هذه العلوم ، وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم  
بالنفي والإثبات ، ولا في هذه العلوم تعرض للأمور الدينية فالمنطقي  
مثلا ليس فيه ما يخالف ما ذكره المتكلمون وأهل النظر في الأدلة إلا من  
حيث العبارات والاصطلاحات وزيادة الاستقصاء في التعريفات

---

(١) الغزالي : المنقذ ص ١٨ (٢) الغزالي : القسطاس ص ٦٨

والتشعيبات فإذا أنكر لم يحصل في إنكاره عند أهل المنطق إلا سوء الاعتقاد في عقل المنكر بل في دينه الذي يزعم أنه موقوف على مثل هذا الانكار .

والطبيعيات بحث يضاهى بحث الطب فكما أن ليس من شرط الدين إنكار الطب فليس من شرطه أيضا إنكار ذلك العلم إلا مسائل معينة ذكرها الغزالي في كتابه التهافت .

والرياضيات تتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم وليس يتعلق شيء منها بالأمور الدينية لإثباتا ونفيا بل هي أمور برهانية لا سبيل إلى مجادلتها بعد فهمها ومعرفتها .

أما السياسيات فكلام الفلاسفة فيها يرجع إلى الحكم المصلحية الدنيوية المأخوذة من كتب الله والحكم المأثورة عن أنبيائه .

وأما الإلهيات فكلام الفلاسفة فيها تخميني وليس برهانيا كما في الرياضيات ، لذلك فعلى الباحث ألا يخلط بين بحثهم هنا وبحثهم هناك بل عليه أن يسلم لهم ما برهنوا عليه ، ويرفض ما قرروه تخمينيا وليحذر من أن يتخذ برهانياتهم البرهانية فيصدقهم في إلهياتهم التخمينية كما لينصف الحق فلا يرفض الرياضيات بدعوى أن برهانهم فيها قد يكون من قبيل برهانهم في الإلهيات .

الدليل والمدلول :

٩ - دحض ما أثبتته المتكلمون الأوائل من أن بطلان الدليل

يؤذن ببطلان المدلول وأثبت بالأدلة المنطقية حصول العكس أحياناً، وعليه فقد استبعد أن تكون مثل هذه القواعد تبعاً للعقائد الإيمانية في وجوب اعتقادها ما دامت لا تأتي بالنتيجة الحتمية التي توقعها من بنوا العقائد عليها<sup>(١)</sup>.

الفلسفة بين الايمان والسكر :

١٠ — اعتبر الفلاسفة أحد خصوم العقائد المتناسب الكثير من مذاهب المبتدعة ومذاهبهم وعلى الأخص في الإلهيات من مسائلهم، وعلى ذلك فقد ضمن علم الكلام الرد على آرائهم ونقضها<sup>(٢)</sup> مكفراً لجمهورهم في ثلاث مسائل هي :

١ — إنكار حشر الأجساد .

٢ — إنكار علم الله بالجزئيات .

٣ — قدم العالم<sup>(٣)</sup> .

أما بقية العشرين مسألة التي هي مجموع تهاقهم — كما عبر عنه<sup>(٤)</sup> فقد بدعهم فيها ولم يكفرهم لقرب مذهبهم فيها من مذاهب المعتزلة ، ولما كان المعتزلة غير كفار فيما خالفوا فيه غيرهم فمؤلاء مثلهم بل لقد ألف الغزالي

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٦٩

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٦٩ (٣) الغزالي : المنقذ ص ٢٣-٢٤

(٤) الغزالي : تهافت الفلاسفة

كتاباً خاصاً اسمه فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة حاول أن يبين فيه فساد رأى من يتسارع إلى التكفير في كل ما يخالف مذهبه<sup>(١)</sup>.

#### التوسع في الدولة :

١١ - كان هدف سابقى الغزالي من علم الكلام حفظ عقيدة أهل السنة على أهل السنة، وحراستها عن تشويش أهل البدعة ولما كان هذا الهدف على سموه عديم الجدوى - عند الغزالي - في حق من لم يسلم سوى الضروريات شيئاً لم يكن أمامه بد من أن يقوم بتطويره وأن يضمه من الإضافات ما يقنع غير المسلمين بالعقائد الإيمانية .

#### استعمال المنطق :

١٢ - كانت ركيزة علماء الكلام قبل الغزالي مبنية على مقدمات تساموها من خصومهم واضطرارهم إلى تسليمها إما :

(١) التقليد .

(ب) إجماع الأمة .

(ج) أو مجرد القبول من القرآن والأخبار<sup>(٢)</sup> .

ولما كان الغزالي لا يؤمن بالتقليد<sup>(٣)</sup> ولا يرى الإجماع حجة<sup>(٤)</sup> ولا يكتفى بالبساطة والسذاجة في تلقى المعارف والأخبار لم يكن بد من أن يخالف منهج القدماء ويختط لنفسه منهجاً لا يقوم على نفس.

(١) الغزالي : المنقذ ص ١٦

(٢) الغزالي : المنقذ من الضلال ص ٢٤ .

(٣) الغزالي : المنقذ والاحياء والقطاس ص ٥٦

(٤) الغزالي : فيصل التفرقة ص ٢٦ - ٢٧ والمستقصى



الركائز التي قام عليها بناء سابقه فكان أن استعمل المنطق في كل قضية من القضايا التي تعرض لها جاءلا موازينه معيارا لكل علم. ولعله بهذا المفهوم اختار اسم (معيار العلوم) عاما على كتابه في المنطق . كما أنه في سبيل المنهج حاول أن يكون إيجابيا فرفض أن يسلك ما سلكه السابقون في استخراجات مناقضات الخصوم ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم إذ أن ذلك في نظره عمل ساي لا يفيد الاسلام انتشارا بقدر ما يفيد المسلم إتقاننا واطمئناننا .

## الفصل الثالث

### الباطنية

تاريخهم وفلسفتهم ودور الغزالي

ليس من أغراضنا هنا أن نثبت صحة نسب الباطنية أو ننفية، فسواء صح نسبهم لاسماعيل الامام ابن جعفر الصادق (١) أو لميمون القداح أو اليهودي (٢) أو لرجل نصراني (٣) أو لم يصح كل ذلك (٤) فن المؤكد أنهم قاموا بدور خطير في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية كان سببها في اثناء المكتبات بثروة علمية شغلت الفكر زمنا طويلا (٥) وأخذت اهتماما من المفكرين. لقد تسمت هذه الفرقة خلال التاريخ بأسماء مختلفة سنذكرها كلها بإيجاز حتى يستطيع القارئ متابعتي في هذه الدراسة وخاصة إذا ما وردوا خلال النصوص بأسماء غير المشهورة عنهم فهم :

(١) ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ٢٦٠ وج ٤ ص ٢١ والخطط للبقرزي .  
(٢) ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ٢٦٠ وأخبار القرامطة بالمر المقتل من كتاب الملوك للقاضي أبي عبد الله يوسف المعروف بالبيهاء الجندى ص ١٢٩ والكتاب ضمن مجموعة الكتب التي طبعت بلندن في مجلد واحد سنة ١٢٠٩ وترجمها إلى الإنجليزية هنري كاسلبي في سنة ١٨٩٣

(٣) ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ٢٦٠ (٤) نفسه ج ٣ ص ٢٦٠  
(٥) محمد كامل حسين : الطائفة الاسماعيلية : تاريخها نظمها عقائدها  
و المقدمة ، ص ١ طبع لجنة المؤلف والترجمة والنشر الطبعة الاولى

سنة ١٩٥٩ م

١ — الباطنية لكتمان أمر دعوتهم<sup>(١)</sup> أو لدعواهم بأن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر، وأنها بصورها توهم عند الجاهل الأغبياء صوراً جلية وهى عند العقلاء والأذكياء رموزاً وإشارات إلى حقائق خفية، وأن من تقاعس عقله عن الغوص على الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار وقنع بظواهرها مسارعا إلى الاعتراض كان تحت الأواصر والأغلال معنى بالأوزار والأفتال (التي هى تكاليف الشرع)<sup>(٢)</sup>.

٢ — القرامطة أو القرمطة لقبوا بها نسبة إلى رجل يقال له حمدان قرمط كان معروفاً بالزهد فاستماله الباطنية إليهم<sup>(٣)</sup> أو إلى آخر تظاهر بالزهد ونزل على من يسمى كرميته فأخذ الاسم منه ثم خفف فقيل قرمط فعرفت الفرقه به<sup>(٤)</sup> أو لأسباب أخرى غير التي ذكرناها هنا<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن خلدون : المعبر ج ٤ ص ٩٤

(٢) فضائح الباطنية للغزالي ص ١١ وابن الجوزي تلخيص لبليس ص ١١٢ وهو نقل كامل للنص من كتاب الغزالي والمنتظم لابن الجوزي القسم الثاني من الجزء الخامس ص ١١١

(٣) الغزالي : فضائح الباطنية ص ١٣ — ١٤ وابن الجوزي تلخيص لبليس ص ١٠٤ ، ١٠٥ والمقالات والفرق للقمي ص ٨٣ طبع طهران سنة ١٩٦٢ م . (٤) المنتظم لابن الجوزي ج ٥ القسم الثاني ص ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣

أو تلخيص لبليس له أيضاً ص ١٠٤ والقمي : المقالات والفرق ص ٨٣

(٥) المنتظم لابن الجوزي ج ٥ القسم الثاني ص ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، والقمي : المقالات والفوق فقرة ١٦١ تنتمه لصفحة ٨٣ ص ٢١٨ فما بعدها . والمعبر ج ٣ ص ٢٢٥ ، ٢٣٦ وتاريخ الشعوب الإسلامية ج ٢ ص ٧٢ ، ٧٥ والأشعرى : المقالات ص ٢٦ والفرق بين الفرق ص ١٦٩ . والمقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٥٧ — والجرجاني شرح المواقف ج ٣ ص ٢٨٨ .

٣ - المزدكية : ذكر ذلك الشهر ستاني (١) غير أنه لما تعرض.  
للمزدكية قال إنهم أصحاب مزدك ومزدك هو الذي ظهر في أيام قباذ والد.  
أنوشروان وكان ينهى الناس عن الخالة والمباغضة والقتل، ولم كان  
أكثر ذلك يقع بسبب النساء والأموال أحل النساء وأباح الأموال  
وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ (٢) وعلى  
هذا فعلهم انما سموا بذلك لما يحى. بعد في شرح الخرمية التي هي من  
ألقابهم وحاصلها أنهم ينادون بطل بساط التكليف وتسليط الناس على  
اتباع اللذات وطلب الشهوات وقضاء الوطر من المباحات والمحرمات (٣)  
وعلى كل فهذه أشهر ألقابهم بالعراق (٤) أما ألقابهم بخراسان فهي:

٤ - التعليمية : لقبوا بها لأن من مذهبهم إبطال الرأي وإبطال  
تصرف العقول ودعوة الخلق إلى التعليم من الامام المعصوم وأنه  
لاملوك للعلوم إلا بالتعليم. قال الغزالي: وهذا اللقب هو الأليق بباطنية  
عصره لأن تعويلهم الأكثر على الدعوة إلى التعليم وإبطال الرأي

(١) الشهر ستاني : الملل والنحل، سيد. كزلائي طبع الحلبي ج ١ ص ٩٢  
طبع ١٩٦١

(٢) نفسه ص ٢٤٩ وراجع أيضا نفس الكتاب طبع المطبعة الادبية  
الطبعة الاولى سنة ١٣٠٧ هـ ج ٢ ص ٨٦ والكتاب المنشور بها. ش الملل  
والنحل لابن حزم .

(٣) فضائح الباطنية ص ١١ وتاميسر لميسر ص ١٠٦

(٤) الشهر ستاني، الملل والنحل ج ١ ص ١٩٢ طبع الحلبي . والعبر لابن.  
خلدون ج ٤ ص ٩٣، ٩٤ .

وإيجاب اتباع الامام المعصوم وتنزيله في وجوب التصديق والاعتقاد به بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>.

٥ - الملحدة أو الملاحدة، ذكر ذلك الشهرستاني وغيره وقال إنه وسابقه من ألفابهم بخراسان<sup>(٢)</sup> ولعل السبب في ذلك يرجع لكونهم الذين أشار إليها الغزالي وغيره<sup>(٣)</sup> مما سنعرض له فيما بعد.

٦ - السبعية: لقبوا بذلك لأمر أحدهما اعتقادهم أن أدوار الإمامة سبعة وأن الانتهاء إلى السابع هو آخر الأدوار، واحتجوا بالتدعيم آرائهم بأن السموات سبع، والأرضين سبع، وأيام الأسبوع سبع، والسكواكب سبعة (وحتى جسم الإنسان سبع: الرأس والبطن ويدان ورجلان وظاهر) فدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة وأن الانتهاء إلى السابع هو آخر الأدوار وهو المراد بالقيامه وأن تعاقب هذه الأدوار لا آخر له.

أما الأمر الثاني فلقولهم أن تدير العالم السفلى منوط بالسكواكب السبعة: زحل ثم المشتري ثم المريخ ثم الزهرة ثم الشمس ثم عطارد ثم القمر. قال الغزالي وهذا مسترق من ملحدة المنجمين وبلغت إلى مذاهب

---

(١) فضائح الباطنية للغزالي ص ١٧ وابن الجوزي: تلخيص إلهيس ص ١٠٦ والمنتظم لابن الجوزي أيضا القسم الثاني ج ٥ ص ١١٤

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل ج ١ ص ١٩٢ محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية ص ٦٣

(٣) فضائح الباطنية ص ١٧ وابن خلدون: العبر ج ٤ ص ٨٥

الثنوية في أن النور يدير أجزاء الممتزجة بالظلمة بهذه السكواكب السبعة<sup>(١)</sup>.

أما الأمر الثالث فلتتميزهم عن الاثنى عشرية<sup>(٢)</sup>.

٧ — البابكية : وهو اسم لطائفة منهم بايعوا رجلا يقال له بابك الخرمي يدعون نبوة رجل من ملوكهم قبل الاسلام يقال له شروين ويزعمون أنه أفضل من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن سائر الأنبياء قبله، وقد أبادهم وحرق رؤسهم المعتصم في سنة ٢٢٣ هـ وكانوا يبيعون اصطيات النساء في ليلة خاصة في السنة<sup>(٣)</sup>.

٨ — الحمرة : لقبوا بذلك إما لأنهم صبغوا الثياب بالحمرة ولبسوها أيام بابك وكان ذلك شعارهم وإما لأنهم يقررون أن كل من خالفهم من الفرق وأهل الحق حمير، ويرجح الغزالي السبب الاول<sup>(٤)</sup>.

(١) فضائح الباطنية ص ١٦ وابن الجوزي تلبيس إبليس ص ١٠٢

(٢) القمى : المقالات فقرة ١٥٦ ص ٢١٣ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم لعبد الرحمن بن علي ار محمد بن علي الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ القسم الثاني من الجزء الخامس الطبعة الاولى بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن سنة ١٢٥٧ هـ ص ١١٣ ، ١١٤ . وتلبيس إبليس لابن الجوزي أيضاً ص ١٠٣ ، ١٠٤ . وفضائح الباطنية ص ١٥ .

(٤) فضائح الباطنية للغزالي ص ١٧ وابن الجوزي : تلبيس إبليس ص ١٠٤ . والمنتظم لابن الجوزي أيضاً القسم الثاني من الجزء الخامس ص ١١٤ .

٩- الخرمية : خرم لفظ أعجمي<sup>(١)</sup> ينبىء عن الشيء المسنن الذي يشتهيه الآدمي، وكان هذا لقباً للمزدكية الذين أشرت إليهم سابقاً وإنما لقب هؤلاء بلقب أولئك لمشايتهم إياهم في آخر المذهب وإن خالفهم في المقدمات وسوابق الحيل فلا ستدراج<sup>(٢)</sup>

١٠- الاسماعيلية : نسبة إلى زعيمهم محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق . زعموا أن الإمامة انتقلت من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه ثم إلى الأخوين الحسن والحسين استثناء لأنها لا تكون إلا في الأبناء ثم إلى بنى الحسين على زين العابدين فمحمد الباقر ثم إلى جعفر الصادق فابنه اسماعيل ابنه محمد الذى بدأ دور الستر من بعده لأن دور السبعة تم به ، ولقب الاسماعيلية هذا هو اللقب المفضل لدى طوائفهم لأنهم كما قالوا اتميزوا به عن بقية فرق الشيعة<sup>(٣)</sup> .

(١) في هامش تلبيس ابليس لابن الجوزى تعليق على لفظ خرم كتبه مصحيح الكتاب محمد منير الدمشقي قال فيه خرم بغم الخفاء وتشديد الراء مفتوحة بوزن سكر صفة مشبهة بالعارسى بمعنى جذلان ومسرور ص ١٥٥ من تلبيس ابليس .

(٢) فضائح الباطنية للغزالي ص ١٥ وابن الجوزى: تلبيس ابليس ص ١٠٥ ، ١٠٦ والمنتظم لابن الجوزى أيضاً القسم الثاني من الجزء الثالث ص ١١٣ .

(٣) ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ٣٦٠ و ٢٦١ ج ٤ ص ٢٩ فضائح الباطنية للغزالي ص ١٤ - ١٦ والقمي : المقالات والفرق ص ٨٠ و ص ٢١٢ فما بعدها فقوة رقم ٥٦ . والقلقشندي : صريح الأعشى ج ١ ص ١١٥ - ١٢٠ ومحمد بن محمد

ولهم ألقاب أخرى غير هذه العشرة المذكورة منها :

١١ - الفاطمية : نسبة إلى السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أقاموا دولة اشتهرت باسم الدولة الفاطمية<sup>(١)</sup>

١٢ - الفداوية وهو لقب فيه معنى التضحية والبطولة ربما لفدية إمامهم أو مذهبهم ولقد أثبت التاريخ لهم من البطولات والتضحيات ما يدعم إطلاق اللفظ عليهم ، وعلى كل فقد استغل الملوك أخيراً هذه الروح لقتل أعدائهم غدراً<sup>(٢)</sup>

== الدين سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة طبع دار الفكر العربي سنة ١٩٦٤ ص ٧٢ وهامش نفس الصفحة . والبغدادى : الفرق بين الفرق صفحات ١٣٩ - ١٦٩ - ١٨٨ وابن النديم : الفهرست ص ٢٦٧ والشهرستاني الملل والنحل طبع الحلبي ج ١ ص ٢٩١ - ١٩٢ . وابن الجوزي المنتظم القسم الثاني من الجزء الخامس ص ١١٠ وتليدس ابليس لابن الجوزي أيضاً ص ١٠٢ - ١٠٣ ونظر الرازي : الاعتقادات : ص ٧٧ . وبصرة العوام ص ١٨٢ ومحمد بن مالك أسرار الباطنية وأخبار القرامطة . طبع مصر ١٩٢٩ ومحمد كامل حسين طائفة الاسماعيلية ص ٣ ، ٢٩ والمقريري : الخطوط ج ٢ ص ٣٥٧ طبع بولاق . وابن خلدون ج ١ ص ٤٠١ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد عقب ترجمة أبي المغيث الحسين بن منصور الحلاج رقم ١٨١ . وابن الاثير تاريخ ابن الاثير حوادث سنة ٢٧٨ و ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٣٠١ ، ٣١٧ ، ٣١٧ -

(١) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ٣٠ .

(٢) ابن خلدون العبر ج ٤ ص ١٧ ، ومحمد كامل حسين ، طائفة الاسماعيلية

ص ٧٤ - ٧٥ .



١٣ — النزارية : نسبة إلى نزار بن المستنصر بالله وهو اسم للفرقة الشرقية منهم بزعامه الحسن بن الصباح الذي رفض الاعتراف بإمامة المستعلي بن المستنصر وأقر بإمامة أخيه نزار لأنه كما زعم سمع من إمامه المستنصر أن نزار هو صاحب الأمر من بعده<sup>(١)</sup>

١٤ — الدروز : نسبة إلى الدرزي الداعية الفارسي الذي نادى بتأليه الحاكم بأمر الله، وهم إحدى الفرق التي انقسمت من الباطنية واتخذت لنفسها عقائد وآراء خالفت بها العقائد<sup>(٢)</sup> والآراء الإسماعيلية إلى درجة أن دعاة الإسماعيلية أنفسهم اضطروا للرد على تأليه الحاكم<sup>(٣)</sup>.

١٥ — الحشاشون أو الحشيشة : من الطريف أن بعض المؤرخين زعموا أن الحسن بن الصباح كان قد عود للفدائيين من أتباعه على تعاطي (الحشيشة) حتى إذا ما أذمنوها صار يطلب منهم القيام بالأعمال الفدائية نظير الحصول عليها منه وإدخالهم الجنة، وهو قول يجافي الحقيقة وينافي الفطنة والكياسة والشجاعة والمهارة الجدلية في العلوم والدقة القامة في التصرفات وكنان الأسرار الذي يفقدها متعاطي الحشيشة ويتمتع بها الباطني إذا فالجنة والحشيشة من إختلاقات المؤرخين وتحريفاتهم وليس لها أساس من الصحة<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن خلدون : العبر : ج ٤ ص ٩٨ ومحمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية ص ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) ابن خلدون : العبر : ج ٤ ص ٩٤ ومحمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية ص ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ .

(٣) محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٤) محمد كامل حسين المصدر السابق ص ٧٤ ، ٧٥ .

والواقع أن الحشاشين جمع حشان وحشان وهى تطلق على الرجال الشجعان الذين يحشون الحروب ويسعرونها غير هيابين ولا وجلين وقد كان الباطنية من هذا النوع من الرجال الأمر الذى أباح للمؤرخين تسميتهم بالحشاشين<sup>(١)</sup>.  
١٦ — السفاكون : ما أن تم للحسن بن الصباح امتلاك قلعة آلموت حتى جمع إليه طائفة صالحة من الأطفال من أبناء الدعاة والمستجيبين المعروفين بغيرتهم للاسماعيلية واستعدادهم للتضحية في سبيل مذهبهم، وأخذ في تدريب هؤلاء الأطفال على الطاعة العمياء وبث روح التضحية بينهم من أجل العقيدة والامام ، ثم علمهم على استعمال الأسلحة فافزع بهم العالم الإسلامى كله وجماعة الصليبيين أيضاً ومن ذلك أطلق الكتاب الغربيون على الإسماعيلية النزارية اسم السفاكين لما قام به الفدائيون إبّان الحرب الصليبية من أعمال بطولية رائعة إلهزت لها كيان الدولة الصليبية<sup>(٢)</sup>.

(١) جاء في اللسان لابن منظور حش الحرب يحشها حشا . . اذا اسعرها هيجهها إسمار النار قال زهير :

يحشونها بالمشرقية والقنسا وفتيان صدق لاضعاف ولائكل  
ومنه قيل للرجل الشجاع نعم يحش الكتبية ، وفلان يحش حرب ، موقدانارها  
ومنه حديث أبى بصير :

ويل أمه يحش حرب ، لو كان معه رجال . واجمع من كل ذلك حشان وحشانه  
وحشاشين الاخرة جمع الجمع كله راجع فصل الحاء حرف الشين ج ٨ ص ١٧٤  
طبعة مصورة عن طبعة بولاق المؤسسة العامة للتأليف والانباء والنشر الدار  
المصرية للتأليف والترجمة .

(٢) محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية ص ٧٣ ، ٧٤ .

### دور الحركة الباطنية :

أما من هم الباطنية وماهى فلسفتهم فقد ذكر ابن الجوزى أن جماعة من الثنوية والمجوس والملحدين ومن دان بدين الفلاسفة المتقدمين أعمالوا آراءهم فى استعادة ما طال امتلاك المسلمين له من أوطانهم وانفقوا على أن يندسوا لتحطيم الدولة الإسلامية وإعادة دولتهم الفارسية تحت شعار الرافضة مبدئياً فكان أن انتسبوا إلى إسماعيل بن جعفر<sup>(١)</sup> باعتبارهم إحدى فرق الشيعة التى أقرت بإمامة محمد بن إسماعيل مؤسسة بذلك فى التشيع فرقة جديدة تقابل فرقه الإمامية أو الإثنى عشرية الذين أنسكروا لإمامة محمد لموت والده إسماعيل فى حياة الإمام جعفر واقروا أن يكون الأخ الأصغر موسى الكاظم إماماً للشيعة غير متفقين مع أولئك فى تخصيص استثناء إمامة الأخوين على الحسن والحسين<sup>(٢)</sup>.

### دور الستر :

ومن هنا تميز الإسماعلية عن باقى فرق الشيعة<sup>(٣)</sup> ولكى يتسنى لهم الاستفادة بمرکز إمامهم فى خدمة أغراضهم اعتبروا محمداً هذا السابع التام من الأئمة الظاهرين وأول الأئمة المستورين الذين يستترون ويظهرون

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم القسم الثانى من الجزء الخامس ص ١١٠، ١١٨ وتلييس ابليس لابن الجوزى أيضاً ص ١٠٦، ١٠٧ .  
(٢) ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٢٩، ٣٠ ومحمد كامل حسين : طائفة الإسماعلية ص ١١ فابعدھا .

(٣) الشهرستانى : الملل والنحل ج ١ ص ١٩١، ١٩٢ .

الدعاة وسموه محمداً المكتوم<sup>(١)</sup> وجعلوا الإمامة السرية بعده لعدد من الأئمة ما زال المؤرخون مختلفين في إحصائهم فن قائل ثلاثة<sup>(٢)</sup> ومن قائل خمسة ومن قائل سبعة<sup>(٣)</sup> وأياً كان العدد وأياً كان صدق الأخبار المروية عنهم في دور الستر بعد وفاة جعفر الصادق في سنة ١١٧ هـ فن الثابت أنهم لم يظهر وا على الميدان العام إلا بعد موت حسن العسكري في سنة ٢٦٠ هـ ودخول ابنه محمد السرداب<sup>(٤)</sup> حينذاك تطلع الإمامية إلى الفرع الآخر من أبناء جعفر الصادق المتسلسل من محمد بن اسماعيل<sup>(٥)</sup> فلم يلبث أن اختار المهدي إمام الإسماعيلية المستتر آنذاك اثنين من أتباع الإمامية هما منصور بن زادات بن حوشب الذي عرف أخيراً بمنصور الين<sup>(٦)</sup> . المتوفى سنة ٢٠٢ هـ وعلى بن فضل<sup>(٧)</sup> ( المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ) وذلك

(١) ابن خلدون العبرج ٤ ص ٣٠

(٢) ابن خلدون : العبرج ٤ ص ٣٠

(٣) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ١٥ والنشار : نشأة التفكير

الفلسفي في الكلام ج ٤ ص ٤٠٤

(٤) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٢١ وابن خلدون : الديار

ج ٤ ص ٢٩ (٥) محمد كامل : المصدر السابق ص ٢١ .

(٦) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٢٢

(٧) راجع كتاب أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك للقاضي

أبي عبد الله يوسف المعروف بالبهاء الجفندي ص ١٢٩ والكتاب المشار اليه

مكتوب في آخر كتاب تاريخ لبن لنجم الدين عمار بن أبي الحسن على الحكمي

البي وجميع الكتب مترجمة بالانجليزية ترجمها هنري كاساسكي طبع

لندن ١٨٩٢ م

للتبشير بالإمام الإسماعيلي المنتظر<sup>(١)</sup> هادفاً بهذا الاختيار تسكين إمامته في نفرس الإمامية من جهة وانتهاز فرصة دخول محمد السرداب لجمع فرق الشيعة الإمامية والإسماعيلية تحت إمرته من جهة أخرى .

ولئن فشل المهدي في جمع الإمامية تحت إمرته فقد نجح في تأسيس أول دولة إسماعيلية له في التاريخ بقيادة منصور الدين سنة ٢٦٦ هـ<sup>(٢)</sup> ثم بقيادة علي بن فضل غير أن الأخير خاع المهدي ونادى بنبوة نفسه وأباح المحرمات فغدر به ومات<sup>(٣)</sup> .

#### دور الظهور :

وفي ذلك العهد الذي نجحت فيه الدعوة الإسماعيلية باليمن قامت حركة إسماعيلية أخرى في البحرين عرفت في التاريخ بحركة القرامطة الذين امتد نشاطهم إلى بادية الشام وشغلوا الخلافة العباسية عدة سنوات كما أقلقوا المسلمين بانتزاعهم الحجر الأسود والاحتفاظ به مدة اثنين وعشرين عاماً في عاصمتهم هجر ، وأخيراً زعزعوا إمامهم المهدي نفسه لشكهم في شخصيته ومن ثم في الدعوة نفسها فهرب المهدي منهم إلى

(١) طائفة الإسماعيلية محمد كامل حسين ص ٢٢ وأخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك للبهاء الجندى ص ١٤٠، ١٤١ وابن خلدون : العبر ج ٣ ص ٢٦١ .

(٢) أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك للبهاء الجندى ص ١٤٣ .  
ومحمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) أخبار القرامطة باليمن ص ١٤٢ ، ١٤٩ . ومحمد كامل حسين طائفة الإسماعيلية ص ٢٢ .

شمال أفريقية حيث أظهر نفسه هناك بعد أن أمن من ملاحقة القرامطة والعباسيين له<sup>(١)</sup>.

وبظهور الإمام المهدي إلى الميدان العام دخلت الاسماعيلية في دور الظهور وأصبح في إمكان الناس جميعاً تمييز شخصيته حتى لا يحدث القباس فيها يؤدي إلى الطعن فيه كما فعل أبو عبد الله الشيعي أخيراً<sup>(٢)</sup> وفيه وفي الدعوة نفسها كما فعل قرامطة البحرين<sup>(٣)</sup>.

وما أن استقر لعبد الله المهدي الأمر بعد قعه للثورات السياسية والثقافية من البربر أتباع المذهب المالكي وبعض الخوارج<sup>(٤)</sup> وبنائه.

(١) راجع تاريخهم في ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ٣٣٥ وفيها نص . خطاب دعوتهم و ص ٢٥٠ و ٢٧٧ و ج ٢ ص ٨٤ وما بعدها و ٥٩٤ و محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٢٣ - ٢٤ وابن الجوزي المنتظم في القسم الثاني من الجزء الخامس ص ١١١ ، ١٢ ، ١١٣ والقوى المقالات والفرق الصفحات ٨٢ - ٨٦ و ٢٠٨ - ٢١٩ وروكلمان تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ٧٢ - ٧٥ والاشعري : مقالات الاسلاميين ص ٢٦ ، وكشف الاسرار الباطنية والقرامطة ، وتلبس ليس لابن الجوزي ص ١٠٤

(٢) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٢٦

(٣) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ وراجع : أيضاً الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المال المتوفى سنة ٢٧٧ وهو مؤلف كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع طبع سنة ١٢٩٩ هـ ومؤلفه كما هو معروف . في وراجع الدكتور علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ١ ص ٤٠٣ فـ ما بعدها .

(٤) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٣١ .

مدينة المهديّة المركز الرسمى للدعوة الإسماعيلية ، حتى وضع لنفسه سياسة الاتجاه نحو بلاد المشرق<sup>(١)</sup> .

وفى سنة ٣٥٨ هـ استطاع جوهر الصقلّى القائد الإسماعيلى أن ينتصر على الأخشيديين ويمحو منها دولتهم ويمنح مصر ويقيم بها دولة الإسماعيلية الجديدة التى سميت باسم الدولة الفاطمية فى محاولة أخرى منهم لجمع كل فرق الشيعة تحت إمرتهم ثم لم يلبثوا أن بنوا ( القاهرة ) لتلصق عاصمة و( الأزهر ) للثقافة الإسماعيلية مركزاً<sup>(٢)</sup> .

ومن القاهرة بدءوا الزحف نحو بلاد الشرق الإسلامى منتهزين ما آل إليه أمر الخلافة العباسية من ضعف فافتتحو الشام وبلاد العرب واليمن وكادوا يكتسحون جميع البلاد الإسلامية فى الشرق بعد أن اكتسحوا قبلاً شمال أفريقيا من المحيط الأطلسى حتى برزخ السويس وجزيرة صقلية وجنوب إيطاليا . واسكن هزيمتهم من الخارج متمثلة فى دحر جيوش السلاجقة لهم وتهديدات الصليبيين بانتزاع ممتلكاتهم فى بلاد الشام . ومن الداخل متمثلة فى تلاعب الوزراء وسوء الحالة الاقتصادية وطمع الأمراء فى الاستقلال بإماراتهم . كل ذلك وغيره حال بينهم وبين تحقيق طموحهم فكان أن تشبثوا بما تبقى لهم من أملاك . بعد أن ارتدت بعض ممتلكاتهم إلى حظيرة الخلافة السنية .

(١) طائفة الاسماعيلية ص ٣٢ - ٣٣

(٢) طائفة الاسماعيلية ص ٣٦ . والنخبط للمقريزى ج ٥ ص ٢٤٩ فابعدها

وج ٨ ص ٢٧٣ فابعدها .

### انقسام الخوكة :

وفي سنة ٤٠٨ هـ انقسم الإسماعيلية بمصر إلى من رفضوا تأليه الحاكم بأمر الله وهم الأغلبية ، وإلى من آمنوا بذلك وهم الدروز الذين هجروا مصر إلى بلاد الشام حيث كونوا فرقتهم التي اتخذت لنفسها أخيراً عقائد وآراء خالفت أصول الدعوة الإسماعيلية .

وأعقب ذلك في سنة ٤٨٧ هـ انقسام أخطر حين قتل الوزير الأفضل ابن بدر نزاراً الإمام الموصى له على رأى النزارية . ونصب المستعلى ابن المستنصر أخاً نزار إماماً على قصره آنذاك .

حينذاك رأى البعض الإقرار بإمامة المستعلى وقد عرف هؤلاء فيما بعد بأتباع الإسماعيلية العربية . غير أنهم لم يكن لهم دور خطير في التاريخ إذ ما قورنوا بالنزاريين خاصة وقد انقسموا بعد قتل إمامهم الأمر سنة ٥٢٤ هـ إلى أتباع الحافظ عبد المجيد الذي قضى صلاح الدين أخيراً على دولتهم سنة ٥٦٧ هـ . وإلى أتباع الإسماعيلية الطيبية أو الإسماعيلية البهرة بالين والهندثم إلى فرقة البهرة الداودية والبهرة السايانية في القرن العاشر .

### النزاريون أو أصحاب الدعوة الجديدة :

أما البعض الآخر من الاسماعلية فقد أنكروا أمامة المستعلى ونادوا بإمامة نزار بن المستنصر . ولما كان الحسن بن الصباح أشهر دعاة الاسماحيية قد هرب فعلاً إلى المشرق واتخذ قلعة آلموت مركزاً له وأيد إمامة نزار فقد اتجهت أنظار النزاريين نحوه باعتباره زعيماً ينتظر منه الكثير لنصرة فرقتهم الجديدة .

وقد لعب هؤلاء النزاريون بزعامة الحسن بن الصباح دوراً أخطر



فى التاريخ من دور الفرقة الاسماعيلية المعاونة لهم . بل إن فرقتهم لمعد تجديدأ وثورة فى الفكر الاسماعيلى كله ، الأمر الذى خول للمؤرخين إطلاق اسم أصحاب الدعوة الجديدة عليهم بينما أطلقوا على أولئك أصحاب الدعوة القديمة<sup>(١)</sup> .

#### الحسن بن الصباح :

وكان لزعامه الحسن بن الصباح أثر كبير فى خطورة هذه الفرقة فقد درب أتباعه على التضحية والفداء فى سبيل الإمامة والعقيدة ووجههم نحو غزو أعدائهم من السنيين والشيعة والاسماعيلية الغربيين عن طريق السيف والمدر تارة وعن طريق الجدل والنقاش تارة أخرى فاستطاع بذلك كسب أتباع جدد وفتح حصون وقلاع أخرى كانت تشكل خطراً على مناهضيه .

وقد حارب الجميع وعلى الأخص السلاجقة حرباً لا هوادة فيها، وكان أكثرهم نقمة عليه ومصرامة فى حربه الوزير الساجوق نظام الملك المشهور وكاد هذا الوزير أن ينجح فى فتح قلعة آلموت أخطر حصونهم فى محاولة منه لإطاحة بدعوتهم غير أن الحسن أرسل له من اغتاله وأراح الاسماعيلية منه فكان بذلك أول شهيد قتله الباطنية<sup>(٢)</sup> ثم من بعده أوقع فدائيو الإسماعيلية النزاع فى قلوب كثير من العامة والعلماء والوزراء والملوك ونشروا جواً من الإرهاب أفزع الجميع فلم يكن أحد

(١) الشهرستانى : الملل ج ١ ص ٩٢

(٢) عبد الكريم النعمان : سيرة الغزالي ص ٢١ - ٢٨

وقتها يأمن على نفسه من غدرهم<sup>(١)</sup> حتى ليقال أن السلطان سنجر السلجوقي استيقظ من نومه يوماً فوجد خنجراً بجوار فراشه ومؤخراً حصل لصالح الدين نفسه ما جعله يخشاهم<sup>(٢)</sup>.

وبمثل القوة والحماس الذي خاض به الباطنية معاركهم السياسية خاضوا به المعارك العلمية هادفين بهذا إلى زعزعة ثقة الناس في علماءهم وقهائهم كما هدفوا بذلك من قبل إلى زعزعة ثقة الناس في ملوكهم وكبرائهم<sup>(٣)</sup>.

وكانوا من البراعة والمهارة في الجدل بحيث استطاعوا السخرية من العلماء المناظرين أمام جمهرة المستمعين فلم يكن بد والحال هكذا أن يلجأ مناظروهم للتأليف ليستعوضوا به ما فقدوه من قدرة على الجدل فظهرت كتب كثيرة في نقد الباطنية وكشف حيلهم وإزالة شبهاتهم ودحض افتراءاتهم كان أشهرها كتاب الغزالي فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية.

وبعد وفاة الحسن آلت زعامة الطائفة الروحية لأبي على الداعي وزعامتها السياسية لكيابزوك (المتوفى سنة ١١٣٨ م) حسب وصية الحسن لعمه كيابنورك (المتوفى سنة ١١٦٢ م) ثم للحسن بن محمد بن كيابزوك).

#### بين الأعداء والانحراف :

وفي عهد هذا الأمير دخلت الدعوة الاسماعيلية الشرقية في دبر رجديد

(١) عبد الكريم العثمان : سيره الغزالي ص ٢٧ - ٢٨

(٢) شذرات الذهب لابن العماد (٣) فضائح الباطنية ص ٢٥ - ٢٦

أسقط فيه الحسن عن اتباعه جميع التكليف الدينية ثم مالبت أن أهزل للناس أنه هو الإمام الرسمى لا الداعى فقط وذلك فى ١٧ رمضان سنة ٥٥٩ هـ فالتف حوله جمع كبير فرحين بظهور إمامهم بعد فترة الانتظار التى عاشوها أثناء ستره .

ومات هذا الحسن ( المشهور بالحسن الثانى على ذكره السلام ) فى سنة ١١٦٦ م فأعقبه على الامامية ابنه المشهور محمد الثانى بن الحسن الثانى غير أنه ما أن آلت الامامية للحسن الثانى بن محمد الثانى فى سنة ٦٠٧ هـ حتى أعلن ثورته على المبادئ الاسماعيلىة التى أورثها له أجداده . ونادى بعودة طائفته لتعاليم الاسلام بعد أن كفر الحسن بن الصباح وأتباعه وحرق كتب الاسماعيلىة .

وعمل كهذا لم يكن بالأمر اليسير وخاصة إذا ما صدر من زعيم الطائفة فقد أحدث دويما ابتهج له المسلمون بينما قابله الفدائيون بجرأة لا تقل عنه . دويما إذ لم يلبثوا أن قتلوا الحسن الثالث فى سنة ١٢٢١ م وأعادوا تعاليم الطائفة لما كانت عليه من الإباحية قبل عهده وعلى هذا استمر أمرهم حتى أдал المغول دولتهم بقيادة هولاكو فى سنة ٦٥١ هـ ( ١٢٤٥ م ) . وقد تبقى من هؤلاء طائفة كانت تدين بالولاء لشمس الدين محمد بن ركن الدين خورشاه آخر الأئمة الاسماعيلىة النزارية فى آلموت ثم لما مات شمس الدين محمد فى النصف الأول من القرن الثامن للهجرة نادى فريق بإمامة محمد شاه ونسله إلى طاهر شاه الثالث المعروف بالدكنى آخر أئمة الفرقة . ونادى آخرون وهم الغالبية بإمامة قاسم شاه ونسله وقد اختار هؤلاء وأولئك المهند لهم مقراً ومركزاً .

### فلسفة الباطنية :

وتقوم فلسفة هذه الفرقة على نفس الأساس الذى تقوم عليه فلسفة الثنوية فكما نادى الثنوية <sup>(١)</sup> من أصحاب ماى بن فاذك الحكيم بأن العالم مصنوع مركب من أصاين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة وأنهما أزليان لم يزا ولا ولن يزا ولا وأنكروا وجود شيء إلا من أصل قديم <sup>(٢)</sup> كذلك نادى الباطنية بإلهين قديمين لأول لوجودها من حيث الزمان إلا أن هؤلاء خالفوا أولئك فجعلوا أحد الإلهين علة لوجود الثانى وسموا الأول السابق أو القلم أو العقل وسموا الثانى التالى أو اللوح أو التدر أو النفس ثم عاد الباطنية فتبعوا الثنوية فى نسبة النقص إلى أحد الإلهين وهو التالى هنا المقابل للظلام هناك . وأضاف الباطنية إلى إلههم أو صافا ظاهرها التنزيه وباطنها الانكار والرفض ونفى الصانع فآله عندهم غير موجود وغير معدوم وهو غير معلوم وغير مجهول كما نسبوا إليه أيضا التعطل عن الصناعات وعدم التعطل عنها بل منهموا الناس تسمية إلههم موجودا وهو عين النفى مع تغيير العبارة <sup>(٣)</sup>

### بين الفلسفة اليونانية والفلسفة الباطنية :

وأضاف الباطنية إلى فاسفتهم تلك آراء أخرى تشبه إلى حد كبير آراء الفلاسفة اليونانيين بل وبعض المسلمين .

(١) الثنوية هم أصحاب الاثنين الارليين : الشهر ستافى : الملل والنحل ج ١ ص ١٠١

(٢) الشهر ستافى : الملل والنحل ج ١ ص ٣٢٤ .

(٣) الغزالى : فضائح الباطنية ص ٣٩

فقد نادى هؤلاء الباطنية كما نادى الفلاسنة من قبلهم بقدّم العالم إلا أنهم اختلفوا مع اليونانيين فلم يجاروهم في المناادة بنظرية الفيض واستبدلوا نظرية العقول بنظرية أخرى في التوليد تقوم على التضادّة لولا: إن التالى وهو أول مبدع حدث من السابق ومن هذا التالى حدثت النفس السكّاية الناشئة جزئياتها في هذه الأبدان المركبة وتولد من حركة النفس الحرارة ومن سكونها البرودة ثم تولد منها الرطوبة واليبوسة ثم تولدت من هذه السكّيات الاسطقصات الأربع وهى النار والهواء والماء والأرض<sup>(١)</sup>.

والدارس لنظريتهم هذه يلاحظ أنها وإن اختلفت مع نظرية الفيض الإلهى إلا أنها تؤدى إلى نفس النهاية من حيث إن الله سبحانه وتعالى ليس هو الخالق المباشر للعالم وأن القمر أو غيره من السكّيات التى أدت إلى نشأة الاسطقصات الأربع هى السبب المباشر فى إحداث العالم والوثر الفعال فى إيجادها .

وكما نسب فلاسنة اليونان السكّال للموجود الثانى لا باعتبار ذاته بل باعتباره فيضا من الموجود الأول كذلك نسب الباطنية الاعتدال للانسان لا باعتبار ذاته بل باعتباره متولدا مباشرة من اعتدال الاسطقصات الأربع أثناء تمازجها .

---

( ) لفرالى : فضائح الباطنية ص ٣٩

### بين النبي والامام :

هـذا ولم تكن فلسفة الباطنية في الغيبيات والنبوات بأكثر  
اعتدالا من فلسفتهم في الإلهيات .

فقد أنكروا ضمنا وجود جبريل عليه السلام وأحالوه إلى عقل  
يفيض المعارف أو القرآن من السابق بواسطة القالى — على النى —  
وأنكروا أن يكون جبريل شخصا متجسما متركبا عن جسم لطيف أو  
كثيف يناسب المسكان حتى ينتقل من علو إلى أسفل .

أما النى عندهم فهو شخص فاضت عليه من السابق بواسطة القالى  
قوة قدسية صافية مهيأة لأن تنشق عند الاتصال بالنفس الكاية بما فيها  
من الجزئيات . وقد شبهوا حاله في ذلك — كما زعموا — بحال بعض ذوى  
النفوس الزكية الذين يشاهدون في مناهم من مجارى الأحوال والمستقبل  
حقيقة ماسيحدث أحيانا كما يشاهدون أمثلة تقارب الحقيقة وتناسبها  
أحيانا أخرى .

على أن هذا النبي عندهم أقل مكانة من الإمام إذ أن القوة القدسية  
الفائضة على النبي لا تستكمل في أول حلولها مثانها في ذلك مثل النطفة  
الحالة في الرحم لا تؤتى ثمارها إلا بعد تسعة أشهر ، ومن ثم كان كمال هذه  
القوة أكثر تجاها في السابع منه في الأول بل ان النبي صلى الله عليه وسلم  
عندهم هو أقل أولئك السبعة مكانة إذ يأتى دوره فى أسفل السلسلة  
ويعلو مكانة وكالا عندهم على فالحسين فالحسق فعلى بن الحسين فمحمد  
بن على فجعفر بن محمد .

على أن هذه الفرقة وقد عاشت في مجتمع إسلامي أو جاورت ذلك المجتمع على الأقل فقد كان من الطبيعي أن تجد تفاوتاً شديداً في آرائها وتعارضاً واضحاً في افكارها مبعثه خشية تلك الفرقة من التصريح الذي يوجب التصريح ومن هنا كذت تجدهم أحياناً ينكرون الوحي ثم يثبتونه ويجعلون النبي صلى الله عليه وسلم مفضولاً ثم يعودون فيفضّلونه وهكذا على أنهم جميعاً لا ينكرون أن مصدر تعليمهم هو الإمام وليس النبي .

#### موقفهم من القرآن الكريم :

وكان رأيهم في القرآن مزيجاً من أراء المسيحيين والمعتزلة فقد أنكروا أن يكون القرآن بتركيبه الحالي كلام الله تعالى وزعموا أنه تعبير محمد صلى الله عليه وسلم عن المعارف التي فاضت عليه من العقل الذي هو المراد باسم جبريل، ولما كان هذا الرأي مناقضاً للفكر الإسلامي فقد حاولوا صبه في قالب مذهبي يسائر ولو إلى حد الآراء المذهبية التي كانت شائعة في تلك الفترة، فادعوا كما ادعى بعض الفلاسفة والمعتزلة أن كلام الله بسيط غير مركب إذ التركيب من صفات الحوادث ولا تعلق للحوادث بذات الله تعالى : ادعوا بأن الله باطن لا ظهور فيه ولعلمهم بمهدى ذلك لفلسفتهم المذهبية التي تقصر فهم بطون القرآن على الامام .

#### رأيهم في القيامة والسموات :

واتفق الباطنية جميعاً على إنكار القيامة وأولوها بأنها رمز إلى خروج الامام وقيام قائم الزمان وقالوا إن هذا النظام المشاهد في الدنيا

من تعاقب الليل والنهار وحصول الانسان من نطفة والنطفة من إنسان وتولد النباتات وتولد الحيوانات لا ينعدم أبد الدهر وأن السموات لا يتصور انعدام أجسامها .

ولم يثبت الباطنية الحشر والنشر للاجساد ولا الجنة ولا النار وأولوا كل ما جاء في ذلك من ألفاظ تضمنها القرآن أو الحديث .  
ونقل المؤرخون عن الباطنية الاباحة المطلقة ورفع الحجاب واستباحة المحظورات واستحلالها وانكار الشرائع .

#### التأويل المذهبي :

على أن أخطر ما نادت به حركتهم ودعت إليه فلسفتهم هو التأويل المذهبي وتحميل النصوص القرآنية ما يستحيل معه النص القرآني إلى نص شيعي لا صلة له بالقرآن ولا بالعقل على الإطلاق<sup>(١)</sup> إذا كان من رأيهم أن كل ما ورد من الظواهر في التكالييف والحشر والنشر والأمور الإلهية كلها أمثلة ورموز إلى بواطن .

فالكعبة هي النبی والباب على والصفاهو النبی والمروة على والطواف بالبيت سبعاً هو الطواف بمحمد إلى تمام الأئمة السبعة والصيام هو الامساك عن كشف السر والظهور هو التبری والتنظف من اعتقاد كل مذهب سوى مبايعة الإمام وإبليس وآدم عبارة عن أبي بكر وعلى إذ أمر أبو بكر بالسجود لعلي والطاعة له فأبى واستكبر والدجال

(١) الدكتور عبد القادر محمود : الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة في القديم والحديث ، طبع المطبعة الحكومية بالخرطوم ١٩٧١ م ( قسم التأليف والنشر جامعة الخرطوم ) ج ١ ص ٢٧ .



زعموا أنه أبو بكر وكان أعور إذ لم يبصر إلا بعين الظاهر دون عين الباطن ويأجوج ومأجوج هم أهل الظاهر .

أما المعجزات فلا وجود لها في فلسفتهم إذ أولت بما ينفيها ويستقطها فالطوفان الذي حدث في عهد نوح وأشار إليه القرآن هو في فلسفتهم طوفان العلم أغرق به المتمسكون بالسنة والسفينة حرزه الذي تحصن به من استجاب لدعوته ونار إبراهيم عبارة عن غضب النمرود لا عن النار الحقيقية وذبح إسماعيل معناه أخذ العهد عليه وعصا موسى حجته التي تلمقت ما كانوا يأفكون من الشبه وانطلاق البحر هو افتراق علم موسى في أمته على أقسام والبحر هو العالم والغمام الذي أظلمهم معناه الإمام الذي نصبه موسى لإرشادهم وإفاضة العلم عليهم والجراد والقمل والضفادع هي سؤالات موسى وأزماته التي سلطت عليهم والمن والسلوى علم نزل من السماء لداع من الدعاة هو المراد بالسلوى والجن الذين ملكهم سليمان بن داود هم باطنية ذلك الزمان والشياطين هم الظاهرية الذين كفوا بالأعمال الشاقة<sup>(١)</sup>.

وعموماً فقد كان غرض الباطنية بهذه التأويلات وأمثالها بما فاض به ككتاب تأويل الدعائم<sup>(٢)</sup> للقاضي النعمان بن محمد (المتوفى سنة ١٦٣ هـ ، سنة ٩٧٤ م) كان غرضهم انتزاع المعتقدات الظاهرة من نفوس الخلق حتى تبطل به الرغبة والرغبة الأمر الذي يقود في النهاية إلى هذيان لا يفهم في نفسه ولا يؤثر في تهذيب<sup>(٣)</sup>.

(١) الغزالي : فضائح الباطنية ص ٥٧ - ٥٨ .

(٢) هذا هو العنوان المتداول للكتاب المذكور ولكن اسمه الأصلي (تربية المؤمنين بالتوهم على - إدوارد باطن الدين) طبع دار المعارف بمصر .  
(٣) الغزالي : فضائح الباطنية ص ١٦٠ .

## فصل الرابع

### دور الغزالي في التصوف

٤٤٤ :

تبحث الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> وإخلاصه في تطبيق تعاليم القرآن ظاهراً وباطناً كان حافظاً للصحابة على تقليده ومن ثم انطبعت عباداتهم بالطابع الديني الحق فصاحب إخلاصهم القلبي جميع أفعالهم الظاهرية وهكذا كان معنى الفقه بالدين عندهم<sup>(٢)</sup>.

وحين توسعت الفتوحات وأدهشت العرب المدينيات الغربية عليهم انشغل بعضهم بها وانصرف إلى الدنيا الجديدة فكان تفكيره فيها واهتمامه بها أكثر من تفكيره واهتمامه بالعبادات الدينية التي يؤديها<sup>(٣)</sup> ولم تعد كلمة الله أكبر في افتتاح الصلاة عند هؤلاء تعنى نفس.

(١) رد كثير من الكتاب حركة التصوف الإسلامي إلى مصادر إسلامية من بين هؤلاء : قمر كيلاي : في التصوف الإسلامي مفهومه وتطور أعلامه ص ١٦ - ١٩ وطه عبد الباقي سرور : شخصيات صوفية ص ١٨ - ٢٢ والبر نصرى نادر : التصوف الإسلامي ص ٣٩ وعبد الكريم الخطيب : نشأة التصوف ص ٣٠ وراجع الخطيب : نشأة التصوف ص ١٤ - ١٦ وإن تيمية : الصوفية والفقراء ص ١٠ - ١٤ والزهرراوى : الفقه والتصوف ص ٤٠ - ٤١ والشرى باصى : التصوف عند المستشرقين ص ١٧ - ٢١ والتجاني : أهل الحق العارفون بالله السادة الصوفية ص ١٣ - ١٧

(٢) الغزالي : إحياء علوم الدين ج ١ ص ٢٨ ، ٢٩ وراجع السهروردي :

عوارف المعارف ص ١٣ - ١٧

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٧٠ تحت علم التصوف

المفهوم الذى فهمه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها فكان طبيعياً والأمر هكذا أن تقل عنايتهم بالفقه وأن تكون عباداتهم صورة بلا معنى وشكلاً بلا روح . بل <sup>(١)</sup> لقد حدث أن تحولت حتى معنى كلمة الفقه عند هؤلاء فلم تعد تعنى ما كانت تعنيه عند أولئك فظهر آنذاك فقهاء متخصصون عنوا بالجانب الظاهرى من العبادة <sup>(٢)</sup> عناية من سبقوهم من المتكاملين بالجانب الجاف من العقائد <sup>(٣)</sup> وقد الفقهاء الجدد المتكلمين القدامى فى الناحية الجدلية والتعريفات والمناقشات والإلزامات بل لقد أكثروا من ذلك حتى سنوا <sup>(٤)</sup> .

وتحت تأثير الفقهاء وغيرهم نسي الناس معنى العبادة وابتعدوا شيئاً فشيئاً عن مفهومها الصحيح <sup>(٥)</sup> وبقيت قلة من المسلمين هالها هذا التغير وأدهشها هذا التحول المادى فأنكرت على الجميع طريقهم واختطت لنفسها طريقاً يقربها من طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه فعرفت حركتهم آنذاك لغرايتها على المجتمع بحركة الزهد وعرف أصحاب الحركة بالزهاد أو العباد أو النساك أو الوعاظ أو القراء <sup>(٦)</sup> :

(١) الغزالي : الاحياء ج ١ ص ٢٩

(٢) الغزالي : الاحياء ج ١ ص ١٩ ، ٢٨ ، ٣٧ .

(٣) الغزالي : الاحياء ج ١ ص ٢١ ، ٢٧ .

(٤) الغزالي : الاحياء ج ١ ص ١٩ ، ٢٨ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٨ وأحمد أمين :

ظهر الإسلام ج ٢ ص ٦٣ وابن قتيبة : الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية

والمشبهة ص ٧ . (٥) الغزالي ج ١ ص ٢٩ .

(٦) الدكتور محمد غلاب : التصوف المقارن - ٢٩ وزكى مبارك :

التصوف الإسلامى ج ١ ص ٦٨ .

ثم تطورت هذه الحركة تحت عوامل الزمن واختصت بمدارك معينة<sup>(١)</sup> فأطلق الناس عليها قبل المائتين للهجرة اسم التصوف للصوف الذي يرتديه أصحابها<sup>(٢)</sup> ومن ذلك الوقت صار مفهوم العلم على قسمين<sup>(٣)</sup> :

(أ) علم مكاشفة وهو خاص بالصوفية تسكاهوا عنه بالرمز والإشارة فليس إلى إفصاحه سبيل أو قل إن إفصاحه عسير .

(ب) وعلم معاملة وهو مشترك بين الصوفية وغيرهم من العلماء . وقد كان مفهوم هذا العلم واحداً عند الصحابة كما ونحن غير أنه في القرن الثاني وما بعده انضم إلى :

(أ) علم ظاهر عني بأعمال الجوارح وقد تقرب به أصحابه إلى المناصب الدنيوية من الولاية والجاه والقضاء والمال والشهرة وغيرها .  
(ب) علم باطن عني بأعمال القلوب عنايته بأعمال الجوارح . وقد تقرب به أصحابه إلى الله وحده وأنفوا من مشاركة أولئك في متاع .

(١) ابن خلدون المقدمة ص ٢٧١ .

(٢) ألكثور ركي مبارك : التصوف الاسلامي ج ١ ص ٥٤ — ٦٧ وقر كيلائي : في التصوف الاسلامي ص ١٢ — ١٣ والسهروردي : عراف المعارف ، والطوسي : اللمع ص ٤٠ ، ٤١ ، وابن خلدون المقدمة ص ٢٧ — ٢٧١ وابن تيمية : الصوفية والفقراء ص ٩ — والقشيري : الرسالة ص ١٢٦ ، والغزالي : الاحياء ج ٣ ، وغلاب ، التصوف المقارن ص ٢٨ وعميق ، التصوف الثيرة الروحية في الاسلام ص ٢٩ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ص ٢٧١ — ٢٧٢ والغزالي ، الاحياء

الدنيا عملاً بقوله تعالى (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) <sup>(١)</sup> .  
وبعوامل الزمن بعدت الشقة بين الفريقين ؛ وتنوعت موضوعات  
البحث عند كل طائفة <sup>(٢)</sup> وظهر من تعصبوا للتصوف وغالوا في تفضيله  
حتى أخرجوه عن حد المعقول والنجس ، ومن تعصبوا على التصوف  
وخرجوا بأصحابه إلى حد الزندقة والكفر <sup>(٣)</sup> خاصة وقد لابس المتصوفة  
وخالطهم أخيراً أذعياء ليسوا منهم <sup>(٤)</sup> أعطوا للمهاجرين فرصة وأتاحوا  
للمناقدين مجالاً وتمخضت المعركة عن انتصار لانقهاء كسبه بمؤازرة  
الولاة بعد معارك كيدية ودموية وإذلاية وتشهيرية أوقعوها  
بالمصوفة <sup>(٥)</sup> .

ودحر للتصوفة سببه لهم ما ألصقه الأذعياء بهم من حلول وإحاد  
ووحدة وجود .

#### دور الغزالي :

وجاء الغزالي في القرن الخامس . يصلح بين الفريقين ويوفق بين  
المتخاصمين بالزامهم جميعاً قبول القرآن والسنة حكماً <sup>(٦)</sup> ولما كان الغزالي

- 
- (١) الغزالي : الاحياء ج ١ ص ٤ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٩ ، ٣٧  
والطوسي : اللمع ص ٤٣ ، ٤٤ .  
(٢) الغزالي ، الاحياء ج ١ ص ٣٧ .  
(٣) الطوسي ، اللمع ص ٢١ .  
(٤) الطوسي ، اللمع ص ١٨ — ١٩ والفشيري ، الرسالة ص ٣٠٢ .  
(٥) أحمد أمين ، ظهر الاسلام ج ٢ ص ٦١ — ٦٢ .  
(٦) أحمد أمين ، ظهر الاسلام ج ٢ ص ٦٢ .

هالما فقيها وشيخا صوفيا رضى به الجميع فكانت ضحايا مصالحته :

١ — من المتصوفة أديعاء التصوف وأفكارهم الالحادية .

٢ — ومن الفقه مفهومه فى أذهان الناس ومكانة المتلبسين به<sup>(١)</sup> .

وعلى هذا فقد كانت مصالحة الغزالى تعنى فى الحقيقة رد اعتبار للمتصوفة خسر به الانتهاء الكثير - على أن الغزالى على علمه ومكانته بين الفريقين لم يكن ليوفق هذا التوفيقى الباهر لولا مؤازرة الخلافة والسلطنة له ممثلة فى شخص الوزير نظام الملك .

وبتأثير الغزالى نهض التصوف من كبوته واستعاد مكانته وأقبل الناس عليه وصاروا يقبر كون ويتمسحون بكل من ينتسب إلى حقله وشملت موجة الإعجاب هذه الفقهاء والخلفاء والوزراء فلم يكن هناك من يجرؤ على مشاغبة المتصوفة وتقديم دون أن يتعرض للأذية من أنصار التصوف .

وبدافع هذا الإعجاب وتحت تأثير هذا الاقبال تكونت الطرق الصوفية التى عرفت فى العالم الاسلامى .

غير أن الادعياء وقد فقدوا رادعيهم بمد الغزالى التحقوا مرة أخرى بركب التصوف واستغلوه أسوأ استغلال وأشنعه وألحقوا به من الوصمات ما عرصه مرة أخرى للنقد والهجوم ، وعرض المتلبسين به للطعن والتجريح فلم يمد التصوف الآن ذلك التصوف الذى طهره الغزالى . ولا عاد مفهومه ذلك المفهوم الذى عاشه النبى صلى الله عليه وسلم .

(١) ابن الجوزى ، المنتظم ج . ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، ٢٠٣ ، ١٩٩

وأصحابه والقلّة التي تبتغيهم من بعدهم ، على أن الفقه منذ أن تحطم لم يكسب خاصة وقد نادى بعض علمائه بقتل باب الاجتهاد فصار التقليد شرعة كل فقيه والتجديد والابتكار عدو معظم المشتغلين بالفقه .

هذا وقد أحدثت كتابات الغزالي وآراؤه بشأن التصوف رد فعل عنيف في الفكر الاسلامي :

( أ ) انتصر له بعض الفلاسفة والمتكلمين في حين هاجمه آخرون منهم .

( ب ) سخط له معظم الفقهاء غير أنهم عادوا فأيدوه بل بالغ بعضهم في كل مذهب إليه حتى أنه عد من ينكرون على الغزالي في غمار أعداء الدين ونسبهم إلى الكفر والالحاد .

( ج ) ابتهج له الصوفية وطربوا وانتشوا لما في تأييد الغزالي لهم من رد اعتبار لهم وإدخالهم في حظيرة الدين خاصة وقد قال صراحة عقب دراسته الطويلة التي استعرض فيها آراء الفلاسفة والباطنية والفقهاء والمتكلمين وغيرهم ما يأتي :

عامت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى وأن سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم ويدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا فان جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهريهم وباطنيهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة علي وجه الأرض نور يستضاء به .

وكان أهم ما تعرض له الغزالي ووتناله بالبحث والدراسة ماقاله من أن تحقيق المسائل الدينية بالبرهان علم وملاسة تلك الحالة ذوق والقبول من التسامع والتجربة بحسن الظن بإيمان<sup>(١)</sup> والسعادة كل السعادة عنده التي هي مطلب الأولين والآخرين هي السعادة الأخروية<sup>(٢)</sup> وهذه لاتنال إلا عن طريق العلم والعمل<sup>(٣)</sup> ومادام جانب العمل عنده متفق عليه من الصوفية وغيرهم إذ غايته محو الصفات الرديئة وتطهير النفس من العادات السيئة<sup>(٤)</sup> فقد أعطى عناية خاصة لجانب العلى فأوضح أن الصوفية لم يحرصوا على تحصيل العلوم ودراستها وتحصيل ما صنقه المصنفون في البحث من حقائق الأمور، بل قالوا إن الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكل الهمة على الله تعالى<sup>(٥)</sup> بحيث لا يلتفت القلب إلى أهل وولد ومال ووطن وعلم وولاية بل يصير إلى حالة يستوى عنده فيها وجودها وعدمها<sup>(٦)</sup> ومهما حصل ذلك فاضت على المتعلم بهذا الطريق الذوق الرحمة وانكشف له سر المكوت وظهرت له الحقائق<sup>(٧)</sup> حتى أنه في يقظته يشهد الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمع

- 
- (١) الغزالي : المنقذ ص ٤٠ .
  - (٢) الغزالي : ميزان العمل ص ١٨٠ - ١٨١ .
  - (٣) الغزالي : ميزان العمل ص ١٧٩ .
  - (٤) الغزالي : ميزان العمل ص ٢٢١ .
  - (٥) الغزالي ميزان العمل ص ٢٢ - ٢٢٣ وسليمان دنيا : مفهوم التصوف ص ٥٥ طبع سنة ٩٦٠ .
  - (٦) الغزالي : ميزان العمل ص ٢٢٢ .
  - (٧) الغزالي : ميزان العمل ص ٢٢٢ .



مبتهم أصواتاً، ويقتبس منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور  
والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق فلا يحاول أن يعبر معبر  
عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكن الإحتراز عنه وعلى الجملة  
ينتهى الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد  
وطائفة الوصول وكل ذلك خطأ<sup>(١)</sup> بل الذى لا يسعه تلك الحالة لا ينبغي  
أن يزيد على أن يقول :

وكان ما كان مما لست أذكره . فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وبالجملة فمن لم يرزق منه شيئا بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة  
إلا الاسم . وكرامات الأولياء على التحقيق بدايات الأنبياء . وهذه حالة  
يتحققها بالذوق من يسلك سبيلها فمن لم يرزق الذوق فتقنها بالتجربة  
والتسامع إن أكثر معهم الصحبة حتى يفهم ذلك منهم بقرائن الأحوال  
يقينا . ومن جالسهم استفاد منهم هذا الإيمان فهم القوم لا يشقى جلسهم  
ومن لم يرزق صحبتهم فليعلم إمكان ذلك يقينا بشواهد البرهان<sup>(٢)</sup> .

ولما كان كلام الغزالي فى المسائل السابقة مرضيا للبعض ومسخطاً  
للآخرين كما ذكرت فقد تعرض لنقاش شديد ودراسة متواصلة ونقد  
عنيف أحيانا وهادىء موضوعى أحيانا أخرى ..

فابن باجة أمثلا ( أبو بكر محمد بن يحيى الصائغ التتحي ) أتوفى

(١) الغزالي ، المنقذ ص ٣٩ — ٤٠ .

(٢) الغزالي : المنقذ ص ٤٠ .

سنة ٩٣٣ هـ) <sup>(١)</sup> أنكر في رسالة الوداع أن يكون ما ذكره الغزالي في كتبه هو الطريق الصحيح في الوصول إلى الله وعنده ، أن الطريق الصحيح في الوصول إلى الله هو التفكير والتأمل الفلسفي لا الأحوال الصوفية وترك التنكير كما نادى بذلك الغزالي <sup>(٢)</sup> .

وجاء ابن الجوزي ( ٥٩٠ — ٥٩٠ ) فسلك مسلك ابن باجة في نقد الغزالي وتصنيفه وأنكر عليه وقد رزق نصيبا وافرا من الفقه أن يصنف كتابه ( الأحياء ) على طريقة القوم ويملؤه بالأحاديث الباطلة ويتكلم عن علم المكاشفة فيخرج فيه عن قانون الفقه وأن يقول في كتابه ( المفصح بالأحوال ) أن الصوفية في يقظتهم يشاهدون اللائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق <sup>(٣)</sup> وبالمثل

---

(١) راجع تاريخ حياه وما يتصل به في الفتح بن خاقان ، قلائد النقبان باريس ٢٢٧٧ هـ ص ٣٤٩ — ٣٥١ وابن طهليل ، قصة حى بن يقطان تمريب أبي ربه ، وابن خلكان ، وفيات الأعيان ص ٩ ج ٢ والنقطة .  
 إخبار العلماء بأخبار الحسكاء ليبسك سنة ١٩٠٣ ص ٦ ٤ وابن أبي أصيبعة طبقات الأسماء مصر الطبعة الأولى سنة ١٨٨٦ م ، والمقرى ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب مصر المطبعة الأميرية ج ٤ ص ١٠٨ وابن خلدون ، المقدمة ودي بور ، تاريخ الفلافة في الاسلام تمريب أبي ريده .  
 القاهرة ١٩٢٨ ص ٢٤٠ — ٢٤١ ودائرة المعارف الاسلامية

(٢) راجع فرسخ ، ابن باه والفلانة المغربية ص ٣١ ودي بور ص ٢٤٢ — ١٦٦ .

(٣) تلبس إبليس ص ١٦٦ .

أنكر عليه ما ذكره من ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهية دون التعليمية وبعد أن نقل ما ذكره الغزالي بهذا الشأن من تقديم المجاهدات لحو الصفات المذمومة مما قد ذكرناه سابقا عاد فقال : عزيز على أن يصدر هذا الكلام من فقيه فإنه لا يخفى قبحه فإنه على الحقيقة طى لبساط الشريعة التي حثت على تلاوة القرآن وطلب العلم ، وعلى هذا المذهب فقد رأينا الفضلاء من علماء الأمصار فإنهم ما سلكوا هذه الطريق وإنما تشاغلوا بالعلم أولا وعلى قدر ما رتب أبو حامد تخلو النفس بوساوسها وخيالاتها ولا يكون عندها من العلم ما يطرد ذلك فيلعب بها إبليس أى ملعب فيريها الوسوسة محادثة ومناجاة<sup>(١)</sup> . غير أنه بعد هذا النقد عاد فقال إنه إذا طهر القلب انصبت عليه أنوار الهدى فينظر بنور الله إلا أنه ينبغي أن يكون تطهيره بنور العلم لا بما ينافيه<sup>(٢)</sup> .

أما ابن طفيل فقد انتصر للغزالي في مناداته بالذوق وما يترتب عليه من مقامات تحصل للمجاهد السالك وأنكر على ابن باجه أن ينتهى حيث انتهى به طريق العلم دون أن يحاول الارتفاع عن تلك المرتبة بسلوك طريق الذوق ، وكان مما قاله في ذلك وهذه الرتبة التي إليها أبو بكر (يعنى ابن باجة) ينتهى بطريق العلم النظرى والبحث الزكرى ولا شك أنه بلغها ولم يتخطها وأما الرتبة التي أشرنا إليها نحن أولا فهي غيرها وإن كانت إياها بمعنى أنه لا ينكشف فيها أمر

(١) ان الجوزى ، تلبيس إبليس ص ٣٣٣

(٢) تلبيس إبليس ، ص ٣٢٣ .

على خلاف ما انكشف في هذه، وإنما تغايرها بزيادة الوضوح ومشاهدتها  
بأمر لا نسميه قدرة إلا على المجاز<sup>(١)</sup> وهذه الحال التي ذكرناها  
وحرك سؤالك إلى ذوق منها هي من جملة الأحوال التي نبه عليها الشيخ  
أبو علي<sup>(٢)</sup>. وبعد أن نقل نصوصاً لأبي علي ابن سينا (ولد ٣٧٠ هـ —  
٩٨٠ م توفي ٤٢٨ هـ — ١٠٣٧ م) قال فهذه الأحوال التي وضعها إنما  
أراد بها أن تكون له ذوقاً لا على سبيل الإدراك النظري  
المستخرج بالمقاييس وتقديم المقدمات وإنتاج النتائج<sup>(٣)</sup>. ثم انتهى ابن  
طفيل إلى ما انتهى إليه أبو حامد في المنقذ<sup>(٤)</sup> والأحياء<sup>(٥)</sup> من أن  
ما يراه أصحاب المشاهدة والأذواق والحضور في طور الولاية لا يمكن  
إثباته على حقيقة أمره في كتاب، ومتى حاول أحد ذلك وتكلفه  
بالقول أو السكت استجالت حقيقته وصار من قبيل القسم الآخر  
النظري لأنه إذا كسى الحروف والأصوات وقرب من عالم الشهادة  
لم يبق على ما كان عليه بوجه ولا حال واختلفت العبارات فيه اختلافًا  
كثيراً وزلت به أقدام قوم من السراط المستقيم وظن بآخرين أن

---

(١) راجع الأحياء والمنقذ ص ٣٩، ٤٠ وميزان العمل ص ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٧  
والرسالة اللدنية ص ١٧ وراجع رسالة أيها الولد ومشكاة الأنوار ص .  
والحكمه في مخلوقاته عز وجل ص ١ وروضة الطالبين وعمدة السالكين  
الصفحات ٧ — ٩، ١٥ — ١٨، ٢١، ٦١ — ٦٢

(٢) ابن طفيل : حتى بن يقطان ص ٥٩ . (٣) نقله ص ٥٩ .

(٤) الغزالي : المنقذ . ٢ .

(٥) الغزالي : الأحياء .

أقدامهم زلت وهي لم تنزل وإنما كانت كذلك لأنها أمر لا نهاية له  
 في حضرة متسعة الأكناف محيطية غير محاط بها<sup>(١)</sup> ولتصوير ذلك تمثل  
 ابن طفيل بما تمثل به الغزالي فقال :  
 فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر<sup>(٢)</sup>  
 وقد أكد ابن طفيل كما أكد الغزالي من قبله أن هذا الطريق  
 هو الموصل إلى الله<sup>(٣)</sup> وأنه هو طريق السعادة<sup>(٤)</sup> وأنه ذو درجات  
 كثيرة ، سعد الغزالي بأقصاها<sup>(٥)</sup> في حين لم ينل هو منها إلا رتبة  
 يسيرة<sup>(٦)</sup> لم ينفع هو بها ولا يرضى للناس أن يقنعوا بها<sup>(٧)</sup> .

- 
- (١) ابن طفيل : حي بن يقظان ص ٦٠ — ٦١ .  
 (٢) ابن طفيل : حي بن يقظان ص ٥٨ والغزالي : المقادير ص ٤٠ .  
 (٣) ابن طفيل : حي بن يقظان ص ٥٨ الغزالي : المقادير ص ٢٩ والاحياء ..  
 (٤) ابن طفيل : حي بن يقظان ص ٦٥ والغزالي : الاحياء ..  
 وميزان العمل .  
 (٥) ابن طفيل : حي بن يقظان ص ٦٥ :  
 (٦) حي بن يقظان ص ٦٥ .  
 (٧) حي بن يقظان ص ٦٥ .

## الفصل الخامس

### دور الغزالي في الفقه

الفقه هو علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بمحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب<sup>(١)</sup>. هذا هو المعنى الأصلي للفقه غير أنه كان على طريق العموم والشمول يطلق أحياناً على معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلّفين بالوجوب والحظر والندب والكره والإباحة<sup>(٢)</sup>. ولما توسعت الفتوحات الإسلامية وتجددت الوقائع اليومية بدخول الناس في دين الله أفواجا وصارت المصووص لا تنفي بالوقائع المتجددة اضطر الخلفاء لندب أناس مخصووصين للتفرغ لهذا الجانب، أعنى جانب تطبيق الكتاب والسنة على الوقائع المتجددة، فاجتهدوا فيه اجتهدهم في تصنيّة باطنهم وتنقيّة خواطرهم طبقاً للمعنى الأصلي للفظ<sup>(٣)</sup>. ثم خلف من بعد هؤلاء خلف أضاعوا المعنى الأصلي وتشبثوا بالمعنى الإضافي وفصار الفقه تبعاً لذلك علماً على المعنى الإضافي دون المعنى الأصلي<sup>(٤)</sup> أو قل إن الفقه صار علماً على أحكام الجوارح دون أحكام القلوب.

(١) الغزالي : الإحياء ج ١ ص ٢٨

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٥٣ والإحياء ج ١ ص ٢٩

(٣) الإحياء ج ١ ص ٢٧ وابن خلدون : المقدمة ص ٣٥٣

(٤) الإحياء ج ١ ص ٢٨

ومنذ ذلك الحين انقسم مفهوم الفقه إلى قسمين :

١ — قسم خص به الصوفية ومن تابعهم وهم قلة ويشمل العلم بأحكام الجوارح والقلوب .

٢ — وآخر خص به أهل الفتيا ومن تابعهم وهم كثرة ويشمل العلم بأحكام الجوارح دون أحكام القلوب<sup>(١)</sup> .

وعن هؤلاء الآخرين الذين شهروا باسم الفقهاء وشهر علمهم باسم الفقه يدور فصلنا هذا .

لقد ظهرت هذه الحركة أول ما ظهرت في أوائل العهد الأموي . إذ كان الناس يتساءلون وقتها في بساطة إذا ما واجهوا شيئاً لم يكن به إمام ، ما حكم الإسلام في هذا<sup>(٢)</sup> غير أنه لما كانت الامبراطورية الإسلامية واسعة كان ولا بد أن تختلف الإجابات تبعاً لاختلاف منطقة سكن المكيب .

فمن بعد عن المدينة مركز الدعوة الإسلامية كانت إجاباتهم فيما لم يرد فيه نص تصدر عن القياس والرأى ، أما من سكنوا المدينة أو قاربوها فقد كانت إجاباتهم تصدر دائماً بما يتفق وعرف سكان المركز الأساسى للدعوة الإسلامية وعلى هذا فقد كانت هناك مدرستان متميزتان في التفكير الفقهى .

---

(١) بروكلمان : تاريخ الادب العربى ( معرب ) ج ٢ ص ٢٣٢  
 (٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٥٣ — ٣٥٧ و بروكلمان : تاريخ الادب العربى ، تعريب النجار ج ٣ ص ٢٢٢

١ — الأولى مدرسة القياس والرأى وهى المدرسة العراقية التى يتصدرها الإمام أبو حنيفة (٨٨٠ هـ — ١٥٠ هـ) .

٢ — مدرسة أهل الحديث وهى المدرسة الحجازية التى يتصدرها الإمام مالك (٩٥ هـ — ١٧٩ هـ) وتلميذه الامام الشافعى من بعده (١٥٠ هـ — ٢٠٤ هـ) <sup>(١)</sup> .

ثم ظهر بعد هؤلاء فريق من العلماء بزعامة أجداد و الظاهرى وابنه من بعده فى المشرق وابن حزم ( ولد فى ٣٨٤ هـ وتوفى ٤٥٦ هـ ومن بعده ابن تومرت ويعقوب المنصور فى المغرب أنكروا القياس وأبطلوا العمل به وجعلوا المدارك كلها منحصرة فى النصوص والاجماع <sup>(٢)</sup> .

وشذ الشيعة والخوارج عن الجميع بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به وسنوه على مذاهبهم أنكبرته عليهم باقى المدارس الفكرية المعتدلة منها والمتطرفة وزاد المعتدلة بإنكار ما جاء به القياسيون والظاهريون بالمثل <sup>(٣)</sup> .

ثم تمخضت المعركة الفكرية السابقة كلها عن انتصار للمعتدلين ممثلين فى المذاهب الأربعة المشهورة :

الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة ، والأخريون أتباع الإمام

---

(١) ابن خلدون المقدمة ص ٣٥٤ وكتنون : النبوغ المغربى ج ١ ص ٩٩ — ١١٨ و ١١٩ وابن حزم : ملخص لإبطال القياس والرأى والاستحسان والتقليد طبع دمشق .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٥٤ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٥٤



أحمد بن حنبل (ولد ١٦٤ هـ وتوفي ٢٤١ هـ) هيمنوا به على الفكر فترة طويلة لاتزال آثارها باقية حتى الآن (١).

هذا ولما كان الكتاب العزيز والسنة الشريفة هما المصدران الأساسيان لهذه المذاهب مع ما يضاف إليها أحياناً من قياس أو إجماع أو غيرها فقد قام الشافعي بأول محاولة في وضع علم لأصول الفقه يقوم على هذه المصادر سمي : علم أصول الفقه (٢) اتجه فيه إلى وضع منهج الاستنباط الصحيح وموازين للأراء الفقهية جعلها خادمة لكل المذاهب المشهورة منها والمندرسه ولم يجعلها خادمة لمذهبه الخاص . غير أن الحنفية لما لم يرتضوا طريق الشافعي في تعميم علم الأصول اتجهوا إلى استنباط الأصول التي تخدم الفقه العراقي جملة والفقه الحنفي خاصة وعلى هذا فقد كانت لهم أصول خاصة بهم ومنهاج معين في دراسته هذه الأصول عرف بالمنهاج الحنفي تميزا له عن المنهاج الشافعي الذي عرف بالمنهاج الكلامي لأن علماء الكلام وجدوا فيه مستراضاً علمياً يذرون فيه أفكارهم (٣) .

وقد كتبت في علم الأصول وعلى المنهج الشافعي أو الحنفي عدة كتب كانت هي الأصل لما جاء بعدها من كتب .

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٥٤

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٦٠ وأبو زهرة : الغزالي الفقيه

ص ٥٢٧ - ٥٣١

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٥٩ - ٣٦١ والشيخ محمد أبو زهرة :

الغزالي الفقيه ص ٥٢٨ - ٥٣١ ضمن مجموعة أبحاث نشرت بدمشق سنة ١٩٦١ تحت عنوان أبو حامد الغزالي في الذكرى المئوية التاسعة لميلاده .

ويهمنا أن نذكر هنا أن أهم ما ألف على النهج الشافعي أو  
السكلامي ثلاثة كتب :

- ( أ ) المعتمد لأبي الحسين محمد بن علي البصري المعتزلي سنة ٤١٣ هـ
  - ( ب ) البرهان لإمام الحرمين أستاذ الغزالي المتوفى سنة ٤٨٧ هـ
  - ( ج ) المستقصى للإمام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ — ١١١١ م <sup>(١)</sup>
- أما ما ألف من كتب في الفروع الفقهية على المذاهب الأربعة  
فكثير عددها وإن كان لنا أن نشير إلى بعضها فسنخص بالذكر ثلاثة  
كتب ألقت في المذهب الشافعي كان لها دور خطير في الفكر الإسلامي.  
تلك الكتب هي :

#### ١ — البسيط للإمام الغزالي .

وهو كتاب ضخم كما يستفاد من اسمه ربما يكون قد تأثر في  
تأليفه له بكتاب ( نهاية المطالب في دراية المذاهب ) لإمام الحرمين إن لم  
يكن الكتاب أشبه بصورة مختصرة لكتاب النهاية كما يرى البعض <sup>(٢)</sup>  
وقد ألف الغزالي كتابه هذا مجازاة لروح العصر التي تستهويها  
التفريعات الدقيقة والوجوه الشاذة <sup>(٣)</sup> النادرة بدليل أنه ملاءم ، بأمثال  
ذلك غير أنه أخيراً أدرك أن مجازاة روح العصر شيء والانتفاع بالكتاب

(١) أبو زهرة : الغزالي الفقيه ص ٥٣١ وابن خلدون المقدمة ص ٢٦١

(٢) بدوي : مؤلفات الغزالي ص ١٧ رقم ٣ والغزالي والاحياء .

ج ١ ص ٢٦

(٣) الغزالي الاحياء ج ١ ص ٤ ، ١٩ ، ٢٨ ، ٣٨

شيء آخر ، وعليه فقد اضطر لأليف كتاب آخر نازلا عن البسيط الذي هو داعية الإمامل مترقياً عن الإيجاز القاضى بالاخلال سماه كتاب ( الوسيط )<sup>(١)</sup>

٢ - الوسيط :

قوبل هذا الكتاب بإعجاب منقطع النظير من أتباع المذهب الشافعى فى معظم أمحاء الإمبراطورية الإسلامية ، حتى لقد عد مقياسا للثقافة والمعرفة وعلى الأخص فى الناحية الفقهية . روى السبكي أن أبا شامة سأل الشيخ عز الدين بن عبد السلام أيهما أفة الشيخ فخر الدين ابن عساكر أو ابن الحرسثانى فرجع ابن الحرسثانى وقال إنه كان يحفظ وسيط الغزالى<sup>(٢)</sup> هذا وقد عكف قوم على حفظه عن ظهر قلب وآخرون على شرحه واختصاره والتعرض لمشاكله أو شرح بعض مسائل من مسائله . وتخصص فريق ثالث فى تدريسه فالامام شهاب الدين مثلاً ( ٥٣٣ هـ - ٦١٨ هـ ) درس وسيط الغزالى أربعين مرة للعمامة سوى درس الخاصة<sup>(٣)</sup> .

ولقد عم النفع به - كما توقع الغزالى - أكثر من سابقه فبينما لا نجد إلا إشارة بسيطة لكتاب البسيط<sup>(٤)</sup> نجد إشارات كثيرة جداً لكتاب الوسيط ومادام المجال لا يسهح بالتوسع فى دراسة الوسيط فأشير فقط إشارة عجلى لآثار الكتاب فى الفكر الإسلامى ممثلاً فى الدراسات والشروح والاختصارات التى قام بها كثير من العلماء من بينهم : -

- ( ١ ) بدوى : مؤلفات الغزالى ص ٢٢ ( نقلاً عن الوسيط للغزالى )  
والغزالى : الإحياء ج ١ ص ٣٦ ( ٢ ) السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ٧٥  
( ٣ ) السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ١٤٨  
( ٤ ) السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ١٠٧

١ - محمد بن يحيى أشهر تلاميذ الغزالي ( + ٤٧٦ - ٤٥٨ )  
قد ألف كتاباً في شرح الوسيط أسماء المحيط في شرح الوسيط . وتدوول  
الكتاب في نيسابور وخراسان وغيرها (١) .

٢ - نجم الدين محمد بن الموفق الخبوشاني ( + ٥١٠ - ٥٨٧ )  
تفقه على محمد بن يحيى تلميذ الغزالي وتأثر به في حب التصوف فصار  
صوفياً ، وفي كراهية الباطنية فهاجر لمحاربتهم فسكرى إلى مصر إحدى  
مرا كزهم الأساسية (٢) .

ألف الخبوشاني كتاباً في شرح كتاب ابن يحيى لوسيط الغزالي  
أسماء ( المحيط في شرح الوسيط ) بلغ (١٦) ستة عشر مجلداً وتدوول  
في خبوشان ونيسابور ومصر ، بل يقال إن عنايته بكتاب أستاذه بلغت  
حدا جعلته يحفظه عن ظهر قلب ، وتمضى الرواية فتقول إنه عدم الكتاب  
مزة فأملاه من خاطره (٣) .

٣ - أحمد بن نصر الأنباري المعروف بالشمس الدنبلي ( توفي سنة  
٥٩٨ ) كان معتنياً بكتاب الوسيط للعزالي وعمل على نشره في الموصل  
وبغداد (٤) .

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٤ ص ١٥١ والنسبكي : الطبقات

ج ٤ ص ١٩٧ - ١٩٨

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٨٨ والسيوطي : حشون

المخاضرة ج ١ ص ٣٢٩ والنسبكي : طبقات الشافعية ج ٤ ص ١٩٠ - ١٩١

(٣) النسبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج ٤ ص ١٩٠ - ١٩١ وابن العماد :

شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٨٨ والسيوطي : حشون المخاضرة ج ١ ص ٢٦٤

(٤) النسبكي : الطبقات ج ٤ ص ٥٧

٤ — أسعد بن محمود الأصبهاني ( + ٥١٥ هـ - ٦٠٠ ) له كتاب  
شرح مشكلات الوسيط عمل على نشره بأصبهان<sup>(١)</sup>

٥ — قاضي القضاة عبد الصمد الخرساني الدمشقي ( + ٥٢٠ هـ )  
أحد الأجلة من الفقهاء البارعين في المذهب كان يحفظ وسيط الغزالي<sup>(٢)</sup>  
٦ — محمد بن يونس بن محمد بن منعه الأدبلي ( + ٥٣٥ هـ - ٦٠٨ هـ )  
صنف المحيط في الجمع بين المذهب والوسيط، وعمل على نشره في الموصل  
وربما ببغداد أيضا<sup>(٣)</sup>.

٧ — القاسم بن عبد الله ( + ٥٣٥ هـ - ٦١٨ هـ ) عمل على نشر  
وسيط الغزالي في خراسان ونيسابور حتى ليقال إنه درس وسيط الغزالي  
أربعين مرة للعامة سوى درس الخاصة<sup>(٤)</sup>

٨ — السيف الآمدي علي بن أبي علي ( توفي عام ٦٣١ هـ ) حفظ  
وسيط الغزالي وعمل على نشره في آمد ومصر وحماة ودمشق<sup>(٥)</sup>

٩ — ابن أبي الدم القاض، أبو إسحاق ( + ٥٨٣ هـ - ٦٤٢ هـ )  
له شرح على الوسيط أسماه شرح مشكل الوسيط، أو ( انضاح الأغاليط.

(١) السبكي : الطبقات ج ٥ ص ٥٠

(٢) السبكي : الطبقات ج ٥ ص ٧٥

(٣) السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ٤٥ - ٤٦

(٤) السبكي : الطبقات ج ٥ ص ١٤٨

(٥) ابن العماد شذرات الذهب ج ٥ ص ١٤٤ - ١٤٥

الموجودة في الوسيط) عمل على نشره في حماة وبغداد والقاهرة وهذان  
وحلب<sup>(٢)</sup>

١٠ — عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح ( ٥٧٧ هـ — ٦٤٣ هـ )  
من تصانيفه شرح مشكل الوسيط في مجلد كبير وقد عمل على نشره  
بالموصل<sup>(٢)</sup>

١١ — قاضي حلب المعروف بابن الأستاذ (ولد سنة ٦١١ هـ أو ٦٢١ هـ)  
توفي سنة ٦٦١ هـ ) صنف شرحا للوسيط في عشرة مجلدات وعمل على نشره  
في حلب ومصر<sup>(٣)</sup>

١٢ — حمزة بن يوسف الحموي التنوخي ( توفي سنة ٦٧٠ هـ — ١٢٧١ م  
له منتقى الغايات في مشكلات الوسيط<sup>(٤)</sup> .

١٣ — جعفر بن يحيى التزميني ( توفي سنة ٦٨٢ هـ — ١٢٦٢ م ) له  
شرح مشكل الوسيط عمل على نشره بمصر<sup>(٥)</sup>

(١) السبكي : الطبقات ج ٥ ص ٤٧ وابن العماد : شذرات الذهب ج ٥  
ص ٢١٣ وعبد الرحمن بدوي : مؤلفات الغزالي ص ٢٠ رقة ٧ .

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٢١ — ٢٢٢ وبدوي :  
مؤلفات الغزالي ص ٢٠ - ٢١ .

(٣) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٠٨ والسيوطي :  
ص ٢٣٣ — ٢٣٤

(٤) بدوي : مؤلفات الغزالي ص ٢٠ رقة ٣

(٥) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٦ والسبكي : الطبقات  
ج ٥ ص ٥٤ .

١٤ - القاضي أبو بكر بن محمد (المتوفى سنة ٥٦٨٨هـ - ٥١٢٦٨هـ م)  
أخذ (بعدن) الوسيط للغزالي عن الفقيه عبد الرحمن الايني<sup>(١)</sup>.

١٥ - علي بن أحمد الأصبغى النيني (توفى سنة ٥٧٠٠هـ - ١٢٦٨هـ م)  
ألف كتابا أسماه معين أهل التقوى على التدريس والفتوى (عقد فيه  
فصلا لما في تصانيف الغزالي والبحر وغيره من تصانيف الروبالي والرافعى  
وغير ذلك<sup>(٢)</sup>)

١٦ - أحمد بن محمد بن الرفعة الملقب بالفقيه لغلبة الفقه عليه  
(٥٦٤٥هـ - ٥٧١٠هـ) صنف (المطلب في شرح الوسيط) أو (منتقى  
الغايات في شرح الوسيط) وكان شرحه حافلا مشتملا على نقول كثيرة  
وتحريجات واعتراضات والتزامات غير أنه يقال إنه مات ولم يكمله  
غيره<sup>(٣)</sup>

١٧ - عمر بن أحمد المدجلى النسائى (توفى سنة ٥٧١٠هـ أو ٥٧١٧هـ - ١٣١٧هـ م)  
كان فقيها مدرسا بالقاهرة ألف كتابا عن اشكالات الوسيط غير أنه  
توفى بمسكة قبل أن يكمله<sup>(٤)</sup>

١٨ - أبو العباس أحمد بن علي العامرى المعروف بالمدرس

(١) الخزرجى : المقود اللؤاؤية ج ١ ص ٢٥٢ .

(٢) السبكى : الطبقات ج ٦ ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٣) السبكى : الطبقات ج ٥ ص ١٧٧ - ٧٨ وبدوى : مؤلفات الغزالي

ص ٢٠

(٤) السبكى : الطبقات ج ٦ ص ٢٤٢ - ٢٤٣ وابن العماد : شذرات

الذهب ج ٦ ص ٤٤ .

(٦٤٠ هـ - ٧٢١ هـ) هو من أكثر فقهاء تهامة تدريسا وأكثرهم نشرًا للعلم، أقام في المهجّم وحدها نحواً من خمسين سنة تولى أثناءها قضاء المهجّم كما ألف في أثباتها عدة مؤلفات منها شرح الوسيط في نحو ثمانية أجزاء<sup>(١)</sup>

١٩ - القاضي إبراهيم بن هبة الله الحميري (توفي سنة ٧٢١ هـ) ألف كتاباً أسماه مختصر الوسيط عمل على نشره في أخميم وأسيوط وقوص والقاهرة<sup>(٢)</sup>.

٢٠ - أحمد بن محمد المنزومي القمولي (توفي ٦٧٢٧ هـ - ١٣٢٧ م) ولي قضاء قوص ثم أسيوط والمنية والشرقية والغربية ثم تفرغ للتدريس والتأليف فدرس بالفخرية وشرح الوسيط للغزالي شرحاً مطولاً بلغ أربعين مجلداً وكان في شرحه هذا أقرب تناولاً للوسيط من شرح ابن الرفعة (توفي ٧١٠ هـ - ١٣١٠ م) المشار إليه تحت رقم ١٦ وإن كان كثير الاستمرار منه وأكثر فروعاً منه أيضاً، بل إنه كما يقول البعض : أكثر فروعاً من أي كتاب ألف في المذهب الشافعي وقد أسماه (البحر المحيط في شرح الوسيط) ثم لخص شرحه هذا في كتاب آخر أسماه جواهر البحر<sup>(٣)</sup>.

(١) الخزرجي : العقود المؤقتة ج ١ ص ٤٣٩ وابن العماد شذرات الذهب ج ٦ ص ٦٧.

(٢) السبكي : الطبقات ج ٦ ص ٨٣ والسيوط : حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٢٩

(٣) ابن حجر : الدرر الكامنة ج ١١ ص ٣٠٤ رقم ٧٦٩ والسيوطي :

حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ وابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ٧٦ والادفري الطالع : السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ص ٦٤ وعبد الرحمن البدوي : مؤلفات الغزالي ص ٢٠.



٢١ — محمد بن عبد الرحمن الريهي ( توفي سنة ٥٧٤٨ هـ — ١٣١٨ م )  
كان فقيها مجتهدا عالما ورعا نقالا للزكاة ، إليه انتهت رئاسة الفتوى والفقاه  
في الجند ونواحيها . . أخذ وسيط الغزالي عن الإمام أبي الحسن علي بن  
أحمد الأصمعي<sup>(١)</sup> .

٢٢ — محمد بن عبد الحكم البلقيني ( توفي قبل سنة ٥٧٤٩ هـ في  
الغالب له شرح على الوسيط لم يكمله<sup>(٢)</sup> .

٢٣ — شرف الدين ابراهيم بن بهاء الدين ( توفي سنة ٥٧٥٧ هـ —  
١٣٢٧ م ) تقلد على عمه المناوي ( + ٥٦٥٥ هـ — ٥٧٤٦ هـ ) ولما تخرج منه  
قام بالتدريس والإفتاء وألف كتابا شرح فيه فرائض الوسيط للغزالي<sup>(٣)</sup>  
٢٤ — جمال الدين محمد السجزي ألف كتابا اسماء ( البحر المحيط في  
شرح الوسيط )<sup>(٤)</sup>

٢٥ — الميضاوي اختصر وسيط الغزالي في كتاب اسماء ( الغاية  
القصوى )<sup>(٥)</sup>

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤة ص ٨١ — ٨٢ .

(٢) السبكي : الطبقات ج ٥ ص ٢٣٦ — ٢٣٧ والـ : دوى : حسن

المحاضرة ج ١ ص ٢١١ .

(٣) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٢١

(٤) بدوى : مؤلفات الغزالي ص ٢٠ .

(٥) بدوى : مؤلفات الغزالي ص ١٢١ .

### الوجيز للغزالي<sup>(١)</sup>

لقى هذا الكتاب من عناية الباحثين واهتمامهم مثل ما لقي سابقه  
فوضعت له شروح وشروح على الشروح وشروح على شروح الشروح  
كما وضعت عليه أو على شروحه اختصارات ودراسات نقدية إليك  
طرفاً منها :

- ١ - أسعد بن محمود بن خلف العجلي الايجاني ( + ٥١٥ - ٦٠٠  
١٢٠٣م ) ألف كتاباً اسماه شرح إلهام الوسيط والوجيز<sup>(٢)</sup>
- ٢ - الإمام فخر الدين الرازي بن خطيب الري ( + ٥٤٣ أو ٥٤٤  
وتوفي سنة ٥٦٠ هـ ) من مؤلفاته شرح كتاب الوجيز للغزالي<sup>(٣)</sup>
- ٣ - محمد بن يونس بن منعه الأربلي ( ٥٣٥ - ٦٠٨ هـ ) له شرح  
على الوجيز عمل على نشره في الموصل وربما ببغداد أيضاً<sup>(٤)</sup>
- ٤ - عبد الكريم الرافعي القزويني ( توفي ٦٢٣ - ١٢٢٦ م ) من  
تصانيفه العزيز في شرح الوجيز<sup>(٥)</sup> ومختصر العزيز في شرح الوجيز<sup>(٦)</sup>

(١) الوجيز للإمام مالك الغزالي طبع القاهرة سنة ١٣١٧ - ١٨٩٩  
مطبعة المأثور في جزأين .

- (٢) السبكي : الطبقات ج ٥ ص ٥٠ وبدوى : مؤلفات الغزالي ص ٢٦
- (٣) السبكي : الطبقات ج ٥ ص ٣٥ ، وطاشكبرى زادة مفتاح المادة  
ص ٤٤٥ - ٤٥١ تحت علم التفسير ، رقم ١٥٧ ، وكارديفر : الغزالي ترجمة  
عادل زعير ص ١١٢ سطر ٤٠ (١) السبكي : الطبقات ص ٤٥ - ٤٦ .
- (٥) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٨٠ - ١٠٩ وبدوى : مؤلفات  
الغزالي ص ٢٥ - ٢٦ . (٦) بدوى : مؤلفات الغزالي ص ٢٧ .

والتذنيب في الفروع هو عبارة عن زيادة وإكالات على كتاب الوجيز للغزالي<sup>(١)</sup>.

٥ - عبد الرحيم بن محمد الموصلي (المتوفى سنة ٦٧١ هـ - ١٢٧٢ م) صنف كتابا حول كتاب الوجيز أسماه التعجيز<sup>(٢)</sup>.

٦ - النووي (المتوفى سنة ٦٧٦ هـ - ١١٧٧ م) اختصر أحد شروح الرافعي على الوجيز في كتاب أسماه روضة الطالبين<sup>(٣)</sup>.

٧ - أبو الشفاء محمود بن أبي بكر الأرموي (٥٩٤ هـ - ٦٨٢ هـ) قيل إنه شرح الوجيز للغزالي<sup>(٤)</sup>.

٨ - أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن (٦١٩ هـ - ٦٨٨ هـ) تقلد على صالح بن علي الحضرمي وولى قضاء الكدراء وعمل على نشر وتدريس كتاب الوجيز للغزالي<sup>(٥)</sup>.

٩ - عبد الرحمن بن إبراهيم الفزاري (توفي سنة ٦٩٠ هـ) له على الوجيز مجلدات<sup>(٦)</sup>.

١٠ - عبد الرحمن بن سعد (٦٣٦ هـ - ٦٩٠ هـ) كان كثير الحج والزيارة وهو أول من أدخل العزيز شرح الوجيز إلى الخيال<sup>(٧)</sup>.

(١) بدوى : مؤلفات الغزالي ص ٢٩ .

(٢) بدوى : مؤلفات الغزالي ص ٢٩ .

(٣) السبكي : الطبقات ج ٥ ص ١٥٥ (٤) بدوى مؤلفات الغزالي ص ٢٧

(٥) الحزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٥٠ .

(٦) السبكي : الطبقات ج ٤ ص ٦٠ .

(٧) الحزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٦٢ رباقوت : معجم البلدان .

- ١١ - منضل بن أبي بكر الخياري الهمداني (توفي سنة ٧١٤ هـ) تفقه على فقهاء نعر ولما تخرج عمل على نشر وتدريس الوجيز<sup>(١)</sup>.
- ١٢ - أبو عبد الله محمد بن حسين (توفي سنة ٧٢١ هـ) كان محفوظاً من كتب الفقه الوجيز<sup>(٢)</sup>.
- ١٣ - إبراهيم بن دبة الله (توفي سنة ٧٢١ هـ) اختصر الوجيز للغزالي<sup>(٣)</sup>.
- ١٤ - علي بن جابر الهاشمي البجلي (توفي سنة ٨٧٢٥ هـ) درس الوجيز على زكي البلقاني<sup>(٤)</sup>.
- ١٥ - أحمد بن محمد بن سليمان الواسطي المشهور ببجلال الدين الوجيزي (٦٤٣ هـ / ٧٢٧ هـ أو ٧٢٩ هـ) كان قد حفظ كتاب الوجيز للغزالي واعتنى به فعرف به<sup>(٥)</sup>.
- ١٦ - إبراهيم بن أحمد العلوي الغرافي (٦٣٨ - ٧١٨ هـ) كان يحفظ كتاب الوجيز للغزالي وإيضاح أبي علي وخرج لنفسه جزءاً<sup>(٦)</sup>. هذا وللاستقاب شروح واختصارات ودراسات أخرى كثيرة غير

(١) الخزرجي : العقود الوثيقة ج ١ ص ٤١٠ .

(٢) الخزرجي : العقود ج ١ ص ٤٤٠ .

(٣) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٩ .

(٤) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ٦٨ .

(٥) ابن حجر : الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٤٣ رقم ٦٢٦ والسبوطي : سنن .

المحاضرة ج ١ ص ٢٤٠ .

(٦) ابن حجر : الدرر الكامنة ج ١ ص ١٠ رقم ١٢ .

أنه يلاحظ بوجه عام أن الوجيز لم يحظ بالعناية التي حظى بها الوسيط في القرنين التاليين مباشرة للغزالي وإن لقي مثل هذه العناية وأكثر في القرن الثامن والتاسع والعاشر والثاني عشر الهجري ويمكن مراجعة ذلك لمزيد من المقارنة في المراجع المشار إليها في هامش الصفحات السابقة<sup>(١)</sup>.

#### المستقصى :

أما المستقصى الذي أشرنا إليه سابقاً أثناء حديثنا عن أصول الفقه فقد تناولته أقلام العلماء كذلك بالبحث والدراسة وقلوب المعجبين بالحفظ والعناية غير أنه يلاحظ أن عناية الأندلسيين به كانت أكثر من عناية الشرقيين وإليك طرفاً مما كتب هؤلاء وأولئك عن الكتاب :

- ١ - الوليد ابن رشد (ولد ١١٢٦هـ/١١٢٦م وتوفي عام ١١٨٥هـ/١١٨٥م) قام بوضع مختصر للكتاب أسماه اختصار المستقصى<sup>(٢)</sup>.
- ٢ - يحيى بن أحمد بن خليل (توفي سنة ٦٢٦هـ) جلس للندريس بأشبيلية فكان مجلسه أحفل مجلس وأجمعه لأشتات المعارف وشرح كتاب المستقصى لأبي حامد<sup>(٣)</sup>.

(١) رينات : ابن رشد والرشدية ص ٤٧ وبدوى : مؤلفات الغزالي ص ٢١٧ .

- (٢) رينات . ابن رشد والرشدية ص ٥٧ وبدوى مؤلفات الغزالي ص ٢٢٧
- (٣) أبو جعفر أحمد بن الوير : ذيل كتاب الصلة لابن بشكو ال ص ١٩٣ ، ١٩٤ طبع الرباط سنة ١٩٣٨ م .

٣ - علي بن أبي علي المشهور بالسيف الأمدي (٥٥٠ هـ - ٦٣١ هـ)  
حفظ الوسيط للغزالي عن ظهر قلب وعمل على نشره في مصر وحماة وآمد  
وبغداد<sup>(١)</sup>.

٤ - أبو العباس أحمد بن الاشبيلي (المتوفى سنة ٥٠١ هـ) قام بوضع  
مختصر لكتاب المستصفي<sup>(٢)</sup>.

٥ - النسفي قام بشرح كتاب المستصفي للغزالي وأتم شرحه له في  
سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٦٦ م<sup>(٣)</sup>.

٦ - عبد العظيم بن عبد الله المعروف بابن الشيخ المتوفى سنة ٦٦٦ هـ أثر  
الغزالي على فكره فأثر كتاب المستصفي واعتنى به كما أثر على سلوكه  
فمال إلى التصوف والشغف به<sup>(٤)</sup>.

٧ - قاضي القضاة تقي الدين محمد بن الحسين العامري (٦٠٢ هـ -  
٦٨٠ هـ) حفظ الوسيط والمفصل والمستصفي للغزالي وعمل على نشرهما في  
حماة ودمشق والقاهرة<sup>(٥)</sup>.

---

(١) السبكي: الطبقات ج ٥ ص ١٢٩ - ١٣٠ وطاشكبرى زاده : مفتاح  
السمادة ج ٢ ص ٥٠ .

(٢) بدوي : مؤلفات الغزالي ص ٢١٧ .

(٢) بدوي : مؤلفات الغزالي ص ٢١٧ .

(٤) أبو جعفر أحمد بن الربيع : ذيل كتاب الصلة لآلن بشكوال  
ص ٣٥ - ٣٦ .

(٥) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .

٨ - أبو الحسن بن عبد العزيز الفهرى ( المتوفى سنة ٧٧٦ هـ ) له شرح على مستصفي الغزالي<sup>(١)</sup> .

٩ - سليمان بن داود الغرناطى ( المتوفى سنة ٨٢٢ هـ ) له تعليق على كتاب المستصفي للغزالي<sup>(٢)</sup> .

هذا وهناك كتب فقهية وأصولية أخرى للغزالي نالت إعجاب الدارسين وعنايتهم وإن لم يبلغ ذلك الإعجاب وتلك العناية مبلغ السكتب السابقة<sup>(٣)</sup> . غير أننى أرى أنه من المناسب أن أقف عند هذا الحد لأستشهد ببعض الأمثلة التى تجسم هذا الأثر الذى خلفه الغزالي فى توجيه الدراسات الفقهية وتنظيمها ودراستها ونقدها بل وفى التفكير الفقهى بصفة عامة :

١ - لما دخل الغزالي بغداد سنة ٤٨٤ هـ تواترت عليه الأسئلة عما إذا كان الطلاق واقعاً أو غير واقع فى حق رجل قال لامرأته ( كلما طاعتك أو إن طلقتك فانت طالق قبل طلاقى ثلاثاً ثم طلقها ) هى مسألة كان قد أثارها قبلاً القاضى أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج ( المتوفى سنة ٣٠٦ هـ ) فعرفت بالمسألة السريجية نسبة إليه .

(١) بدوى : مؤلفات الغزالي ص ٢١٧ .

(٢) بدوى : مؤلفات الغزالي ص ٢١٧ .

(٣) الشيخ محمد نوب الجاوى ، شرح مراقى العبودية على بداية الهداية تم تأليفه سنة ١٢٨٩ هـ طبع القاهرة سنة ١٨٨١ والفاكمى (٩٨٢ - ١٥٣٤) نفحات العناية بشرح بداية الهداية وأيضاً الكفاية فى شرح الهداية طبع مهنر ١٢٩٦ هـ

ويبدو أنه كان هناك اتجاهان ، اتجاه ينادى بوقوع الطلاق والآخر لا يوقع الطلاق غير أنهم جميعاً تركوا للغزالي الفصل في ذلك . . وما أن صرح: الغزالي برأيه وأفقى بعدم وقوع الطلاق حتى استطارت فتواه وانتشرت بسرعة البرق في جميع الأقطار فتضت بذلك على كل فتوى سبقتها ، كما عززت كل فتوى طابقتها ، على أن الغزالي لم يثبت على هذا الرأي بل غير اجتهاده فيه وأوقع الطلاق في مثل هذه المسألة وليسكن الذي يهمننا هنا ليس هو تقرير اجتهاد الغزالي وإنما هذه الأسئلة التي تواترت عليه أول دخول بغداد من ناحية واستطارة تلك الفتوى من ناحية أخرى إذ أن ذلك ألصق بموضوعنا هنا لأنه يؤكد الدور الفعال الذي كانت تلعبه شخصيته والأثر العميق الذي تخلفه في النفوس أقواله وفتواه فتحقق لها الاطمئنان وتدفعها للثقة واليقين في موضوع ظل مجال نقاش لفترة قاربت القرنين قبل الغزالي ( ٤٨٤ - ٣٠٦ هـ )<sup>(١)</sup> .

٢ - لعن وسب يزيد بن معاوية المتوفى ٦٤ هـ كان مثار جدل بين الفقهاء وعلى الأخص بين فقهاء الشيعة والسنة وكان من رأى بعض السنيين أنه يستحق اللعنة وقد أفتوا بذلك غير أن الغزالي رفض متابعة من سبوه أو عاصروه في فتواهم وصرح أ كثر من مرة بأنه لا يجوز لعن

---

(١) ابن العماد : شذرات ج ٢ ص ٢٤٧ والغزالي : غابة النور في دراية الدور المتحف البريطاني رقم ٣١٠٢ والكتاب موضوع في صدارة مجموعة بها ١٨ كتاباً ليدت للغزالي ؛ وبدوى مؤلفات الغزالي ص ٥٠ إلى ٥٨ رقم ١٥٠ ص ٢٠٧ رقم ٥٨ والسبكي : الطبقات ج ٤ ص ٩٦ - ٩٧ .



المسلم أصلاً ومن لعن مسلماً فهو الملعون ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم ليس يلعن ، وكيف يجوز لعن المسلم ولا يجوز لعن البهائم ، وقد ورد النهي عن ذلك . وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة بنص النبي صلى الله عليه وسلم ، ويزيد صح إسلامه ، وما صح قتله الحسين رضي الله عنه ، ولا أمره به ، ولا رضاه ، ومهما لا يصح ذلك منه لا يجوز أن يظن ذلك به فإن إساءة الظن بالمسلم أيضاً حرام وقد قال تعالى « اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم . . . » وبعد أن ناقش من قالوا بلعن يزيد قال : فإذا لا يجوز لعن أحد من مات من المسلمين ومن لعنه كان فاسقاً عاصياً لله تعالى ، ولوجاز لعنه فسكت ، لم يكن عاصياً بالإجماع ، بل لو لم يلعن إبليس طول عمره لا يقال له يوم القيامة لم تلعن إبليس ؟ ويقال لللعن لم لعنت ؟ ومن أين عرفت أنه مطرود ملعون ، والملعون هو البعيد من الله عز وجل ، وذلك غيب لا يعرف إلا فيمن مات كافراً ، فإن ذلك علم بالشرع ، وأما التزحم عليه فجائز بل هو مستحب بل هو داخل في قولنا في كل صلاة اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، فإنه كان مؤمناً والله أعلم<sup>(١)</sup> .

لقد أثرت هذه الفتوى تأثيراً واضحاً فيمن أعقب الغزالي من العلماء فرددها ابن الصلاح والياقنى والفزوف ومن أعقبهم من علماء السنة<sup>(٢)</sup> - بل صارت منهجاً لأهل السنة من بعده حاولوا السير فيه وألف على

(١) ان الهماد : شذرات الذهب ج ٤ ص ٨ - ١٠ و بدرى : مؤلفات

الغزالي ص ٤٧ - ٤٨ والغزالي بداية الهداية ص ٣٠ .

(٢) أبو شامة المقدسى : تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف

بالذيل على الروضتين ص ٦ طبع ١٩٦٦ هـ - ١٩٤٧ م .

منواله ابن العربي كتاب ( العواصم من القواصم ) . . ولئن صح لي أن أخرج قليلا عن فكرة البحث أقول إن هذا المنهج ظل واضح الأثر حتى عصرنا هذا ، فالأزهر بمصر وجامعة أم درمان الإسلامية بالسودان كانا ولا يزالان يخوضان في هذه المسائل وأشباهاها بنفس روح التسامح التي بثها الغزالي ؛ وكثيرا ما كنت تسمعهم ينهون عن الخوض في مثل هذه المسائل ، يقول الشيخ إبراهيم اللقاني الذي توفي ( ١٠٤١ هـ - ١٦٣١ م ) في كتابه جوهرة التوحيد :

وأول التشاجر الذي ورد . . إن خضت فيه واجتنب داء الحسد قال إبراهيم البيهجوري شارح الكتاب ولد ١١٩٨ هـ ١٧٨٤ م وتوفي سنة ١٢٧٧ هـ - ١٨٦٠ م ) والمراد داء الحسد الحامل على الليل مع أحد الطرفين على وجه غير مرض <sup>(١)</sup> .

على أن هناك بالطبع من لم يرضهم هذا التسامح الذي أبداه الغزالي في شأن يزيد بن معاوية وعليه فقد نادوا بلعنه متابعين لمن كان يرى ذلك من معاصري الغزالي وغيرهم وأبرز من تبني ذلك ونادى بمخالفة الغزالي فيه هو ابن الجوزي من المتأخرين ( توفي ٥٩٧ هـ ) والكتيا السراسي من المعاصرين للغزالي ( توفي ٥٠٤ هـ ) <sup>(٢)</sup> .

٣ - من كلام السهروردي ( ٥٣٩ هـ ) في عوارف المعارف :

(١) البيهجوري : تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٩١ - ٩٢ طبع مصر سنة ١٣٠٤ هـ .

(٢) ابن العماد: شذرات الذهب ج ٤ ص ٨ - ١

إن الإمام إذا قال آمين فافتتح المأموم في قراءة الفاتحة لا يسكت بل يشغل الامام بما روى (اللهم فني من الخطايا والذنوب . الحديث) إلى أن يتم المأموم الفاتحة . قال السبكي : وهذاتبع فيه الغزالي فإنه كذلك ذكر . في الإحياء وهو غريب والحديث يشهد لأن موضع ذلك قبل الفاتحة <sup>(١)</sup> .

٤ - الصيغة في الشهادة على الزنا أوردها الشافعي في حد الزنا فتابعه عليها أكثر الأصحاب ولكن ما أن جاء الغزالي فأوردها في الشهادات بدلا عن حد الزنا حتى ترك الأصحاب اتباع نهج الشافعي في ذلك وآثروا اتباع الغزالي فيها فأوردوها في الشهادات اقتداء به <sup>(٢)</sup> .  
٥ - قال الإسنوي في المهمات : إن غالب نقل الرافعي من سقة تصانيف غير كلام الغزالي المشروح : التهذيب والنهاية والتممة والشامل وتجريد بن كج وأمالى أبي الفرج السرخسي <sup>(٣)</sup> .

٦ - كان صاحب زوائد الروضة يرى أن المصلي إذا تذكر فائنة وهناك جماعة يصلون الحاضرة والوقت متمتع فالأولى أن يصلي الفائنة أولا متفردا فجاء الغزالي وخالفه وصرح في الإحياء بأن من فاتته الظهر إلى وقت العصر إن وجد إماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر فإن الجماعة بالأداء أولى .

وقد تابع المتأخرون في ذلك الغزالي وهجروا ما قاله صاحب الزوائد فحمد ابن يونس مثلاً ( ٥٣١ هـ ) شارح الوجيز للغزالي ومؤلف المحيط

(١) السبكي : الطبقات ج ٥ ص ١٤٤

(٢) السبكي : الطبقات ج ٣ ص ٣٨ - ٤١

(٣) ابن العماد : شذرات المذهب ج ٣ ص ٤٠٠ ، ٤٠١

( ١٠ - الغزالي )

في الجمع بين المذهب والوسيط قال : الأفضل تقديم الفائمة على الحاضرة إلا إذا ضاق وقت الحاضرة أو أدرك جماعة وعلل شرحه بخشية فوات الجماعة وهو نفس ما أفتى به الغزالي .

وكان موقف السبكي صاحب الطبقات ( ولد ٧٢٧ وتوفي عام ٧٧١ ) شبيهاً بموقف محمد بن يونس إذ قال إن القلب أميل إلى كلام الغزالي منه إلى مافي الروضة <sup>(١)</sup> .

٧ - ما حكم من قال لزوجته أنت طالق على ألف إن شئت وقبلت ؟ :  
أترى يقع الطلاق إن شئت دون أن تقبل أو قبلت دون أن تشاء أو لا بد من أن تشاء وتقبل ، انقسم الفقهاء في ذلك إلى ثلاث فرق كل تبني رأياً .

فالذين قالوا بالمشيئة دون القبول أو القبول دون المشيئة استندوا إلى مناقله الغزالي أو فهم من كتبه ، ومكثوا من قالوا بالجمع بين المشيئة والقبول مما يشير إلى أهمية الغزالي كذقيته من ناحية ودقة الألفاظ القانونية التي درج على استعمالها من ناحية أخرى ، على أن السبكي يرى أن لفظ المشيئة يتضمن القبول وكذلك العكس وعاليه فالخلاف غير ذي موضوع <sup>(٢)</sup> .

٨ - هل الإجماع حجة . . قضية أصولية أفتى الغزالي فيها بعدم حجتيته ، قال لأن الشبه كثيرة في كون الإجماع حجة قاطعة وإنما

(١) السبكي : الطبقات ج ٥ ص ٤٥ - ٤٦ .

(٢) السبكي : الطبقات ج ٥ ص ٧٣ .

الإجماع عبارة عن التطابق على رأى نظرى... وتطابق أهل الحل والعقد على رأى نظرى واحد لا يوجب العلم إلا من جهة الشرع. ولذلك لا يجوز أن يستدل على حدوث العالم بتواتر الأخبار من النظائر الذين حكموا به بل لا تواتر إلا فى المحسوسات.. وقد بنى الغزالى على ذلك فتواه فى عدم تكفير النظام ( المتوفى ٢٣١ هـ - ٨٤٥ م ) المنكر لأصل الاجماع <sup>(١)</sup>.

وبالرغم من أن رأى الغزالى هذا مخالف لمن سبّوه <sup>(٢)</sup> إلا أنه وجد ترحيبا من كثيرين من أصحاب المذاهب الفقهية ، فأيده كل من المالكية والشافعية والحنابلة وأما الحنفية فقد عارضوه ، وقد صور ذلك السبكي (٦٨٣ - ٧٥٦ هـ) صاحب الفتاوى أحسن تصوير حيث استقى عن الإجماع ، قال : الكلام فى ذلك تارة فى إمكانه وتارة فى حجته والخلاف فى القسمين ومجموع الخلاف فى ذلك ثلاثة مذاهب :

(١) قيل تمتنع .

(ب) قيل جائز وليس حجة وهو المرجع فى المذاهب الثلاثة .

(ج) قيل حجة وهو المرجع عند الحنفية <sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) الغزالى : الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ ط مع أنقرة سنة ١٩٦٢ م وطبع مصر سنة ١٣٢٠ ص ١١٣ وانظر البغدادى : أصول الدين طبع استانبول سنة ١٩٢٨ ص ١٩ - ٢٠ .
- (٢) راجع رأى البغدادى فى ، أصول الدين ص ١٩ - ٢٠ وفى بعض كتبه الاصولية انتهى أشار إليها فى ص ٢٠ من كتابه المذكور .
- (٣) أبو الحسن تقى الدين على بن عبد الكافى السبكي ، طبع مصر سنة ١٠٥٦ هـ ج ٢ ص ٦٣٩ ، ٦٤٠ .

٩ — خاض الغزالي في فتاويه في مسألة استئجار الذي إذ سئل  
إذا أجرة اليهودى نفسه مدة معلومة ما يكون حكم السبوت التى تخللها  
إذا لم يستغفها فإذا استغفها فهل تصح الإجارة لأنه يؤدى إلى تأخير  
التسليم عن العقد .

فأجاب : إذا طرد عرفهم بذلك كان إطلاق العقد كالتصريح  
بالاستثناء وينزل استثناء السبت منزلة استثناء الليل فى عمل لا يتولى .  
إلا بالنهار<sup>(١)</sup> .

وقد أثنى السبكي صاحب الفتاوى على هذه الإجابة فقال وهو  
كلام متين قويم<sup>(٢)</sup> ثم عاد فنقاش ما أراده الغزالي بلفظ ( إذا طرد  
عرفهم ) . . أترى الغزالي يعنى عرف المستأجر أم تراه يعنى عرف  
المؤجر . . وقد رجح هو حمل كلام الغزالي على عرف المستأجر والمؤجر  
جميعا سواء أكان المستأجر مسلما أم لا ، وأضاف : فلو كان عرف اليهودى  
مطردا بذلك ولسكن المستأجر المسلم لم يعرف ذلك لم يكن إطلاق العقد  
فى حقه منزلا منزلة الاستثناء ، والقول قول المسلم فى ذلك إذا لم يكن  
من أهل تلك البلدة ولم يعلم من حاله ما يقتضى معرفته بذلك العرف ،  
وحينئذ فهل نقول إن العقد باطل أو يصح ويثبت له الخيار أو يصح ويلزم  
اليهودى بالعمل ، فيه نظروا الأقرب الثالث لأن اليهودى مفطر بالاطلاق  
مع من ليس من أهل العرف<sup>(٣)</sup> .

(١) السبكي : فتاوى السبكي ج ٢ ص ٦٢٦ .

(٢) السبكي : فتاوى السبكي ج ٢ ص ٦٢٦ .

(٣) السبكي : فتاوى السبكي ج ٢ ص ٦٢٦ — ٦٣٠ .

ثم مضى السبكي يناقش ألفاظ فتوى الغزالي واحدة بعد الأخرى ،  
وفي كل مرة يقف ليؤكد أن قول الغزالي هو الأولى بالاتباع<sup>(١)</sup> وأنه  
في تأويله له لم يبعد عما يريد الغزالي به<sup>(٢)</sup> مما يشير إلى أن فتاوى الغزالي  
في المسائل الفقهية كان لها دور أيما دور في توجيه الدراسات الفقهية .

١٠ - كانت الين في القرن السابع الهجري شغوفة جدا بكتب  
الغزالي ولوعة بدراستها حتى إذا ما قدم إليها عالم من خارجها تساءلوا  
عما إذا كان هذا العالم له إلمام بكتب الغزالي أم لا فإن كان حدودا  
له ذلك ورفعوه مكانا عليا بل افتخروا بالدراسة عليه<sup>(٣)</sup> وإلا ليم على  
جهله بها ولم يجد منهم ذلك الترحيب الذي كان سيجده لو كان له بكتب  
الغزالي إلمام ومعرفة . بل قد لا يشجعونه على الإقامة بينهم فيضطر  
للسفر من اليمن . . وحتى بعد سفره منهم تلاحقه لعنتهم كأن يشيعون  
أن المراكب الذي سافر فيه غرق<sup>(٤)</sup> .

١١ - أفتى ابن الصلاح المتوفى ٦٤٣ هـ - ١٢٤٤ م) أنه لا يكون  
مقرا من قال اشهدوا على بكذا فوقف على الفتوى بعض من ينقذ بدمشق  
من الشافعية فأرسل إلى ابن الصلاح يستنكر عليه أن يجرؤ فيذكر شيئا  
خلاف لما في الوسط للغزالي . . ولما كان ابن الصلاح يدرك مدى النقد

(١) السبكي : الفتاوى ج ٢ ص ٦٢٨ ، ٦٢٩ .

(٢) السبكي : الفتاوى ج ٢ ص ٦٢٨ .

(٣) الخرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٥٠ ، ٤١١ ، ٤٤٠ ، ٢٥٢ .

٨١ ، ٨٢ .

الخرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٧٥ - ٣٧٦ .

الذى سيلاقيه لو أعلن مخالفة للغزالي في رأيه فقد حاول جاهدا أن يطمئن المستنكر بأنه لا خلاف يذكر بين ما أفتى به الغزالي وما أفتى به هو إذ المسألة التي أفتى فيها الغزالي في الوسيط تختلف عما أفتى فيها هو غير أن ابن الصلاح بالرغم من ذلك لم يسلم من النقد ، فقد فند السبكي حججه وأبان عدم صحة ما ذهب إليه من التفرقة وقال إنها مسألة واحدة الغزالي فيها المصيب وابن الصلاح المخطئ<sup>(١)</sup> .

١٢ — محمد بن محمد الأنصارى الخزرجى من علماء القرن السابع الهجرى ومن تلاميذ ابن دقيق العيد (توفى ٢٠٧ هـ) كان معجبا أشد الإعجاب بالغزالي وكتبه وعلى الأخص كتاب الوسيط ، ففى رأيه — وهو فقيه — لكلمته اعتبار — أن الوسيط حوى من التفريعات الفقهية ما لم يحوه كتاب غيره .

ويذكر أصحاب الطبقات أنه عبر ذات مرة عن إعجابه بالوسيط بهذين البيتين من النظم فقال :

كتاب الوسيط تفاربعه أحاطت بكل خفى النظر  
فله دار أبى حامد لقد كان روح علوم البشر

١٣ — انتقد الغزالي على الفقهاء ما ابتدعوه من علم الخلاف وفنون المجادلات فقال فى الإحياء : وأما الخلاقيات التي أحدثت فى هذه الأعصار المتأخرة ، وأبدع فيها من التحريرات ، والتصنيفات والمعادلات ما لم يعهد مثلها فى السلف فإياك أن تحوم حولها واجنبها

(١) السبكي : الطبقات ج ٥ ص ١٤٠ - ١٤٢ .



اجتناب السم القاتل فإنها الداء العضال؛ وهو الذى رد الفقهاء كلهم إلى طلب المنافسة والمباهاة<sup>(١)</sup>.. ثم قول : وهذا الكلام ربما يسمع من قائل فيقال الناس أعداء ما جهلوا فلا تظن ذلك فعلى الخير سقطت وقيل هذه النصيحة بمن ضيع العمر فيه زمانا وزاد فيه على الأولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه فلا يغرنك قول من يقرل الفقه عماد الشرع ولا يعرف الله إلا بعلم الخلاف فإن علم المذاهب مذكورة فى المذهب والزيادة عليها محاولات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة، وكانوا أعلم بعلم النفاوى من غيرهم بل هى مع أنها غير مفيدة فى علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه فإن الذى يشهد له حدس المفتى إذا صح ذوقه فى الفقه لا يمكن تمسكه على شروط الجدل فى أكثر الأمر فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الإذعان لذوقه الفقه، وإلما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتملأ بأنه يطلب علل المذهب وقد يفتضى عليه العمر ولا تنصرف همته إلى علم المذهب فسكن من شياطين الجن فى أمان واحترز من شياطين الإنس فإنهم أراحوا شياطين الجن من التعب فى الإغواء والإضلال<sup>(٢)</sup>.

وقال فى بداية الهداية : واحذر مخالطة متفتنة الزمان لاسيما المشتغلين بالخلاف والجدال، واحذر منهم فإنهم يتربصون بك بحسدهم

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٤٣ رقم الترجمة ٦٥٢ .

(٢) الغزالي : الاحياء ج ١ ص ٣٦ - ٣٧ والاحياء ج ٣

ربب المنون ويقطعون عليك بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون  
يحصون عليك عثراتك في عشرتهم حتى يجهوك بها في غيظهم  
ومناظراتهم ، لا يقبلون لك عثرة ، ولا يغفرون لك زلة ، ولا يسترون  
عليك عورة ، يحاسبونك على النقيير والقطمير ، ويحسدونك على القليل  
والكثير ، يحرضون عليك الاخوان بالنعميمة والبلاغات والبهتان ،  
إن رضوا فظاهرهم المماق وإن سخطوا فباطنهم الحماق ظاهرهم ثياب وباطنهم  
ذئاب ، هذا حكم ما قطعت به المشاهدة على أكثرهم إلا من عصمه الله  
تعالى ، فصحبتهم حشرات ومعاشرتهم خذلان هذا حكم من يظهر لك  
الصداقة فكيف من يجاهر بك بالعداوة<sup>(١)</sup> .

هذا ما قاله الغزالي عن علم الخلاف والجدل وقد حرصت أن أذكره  
مع أنه طويل لأوضح أن رد الفعل الذي أحدثه النقد كان عنيفا جداً إلى  
درجة أنه قضى على علم الخلاف قضاء مبرما فلم يحط بالحياة بعده إلا فترة  
قصيرة ألف الرازي وغيره فيها كتباً ثم انتهى العلم ولم يعد له مجال  
ولا عاد الفقهاء يتنافسون به ويتباهون بمعرفته . وقد سجل هذه الحقيقة  
الفاحية وغيره بعد مقارنة بين ما كان عليه علم الخلاف والجدل في  
عصر الغزالي من قوة وازدهار وما آل إليه بعد عصره من تدهور وزوال<sup>(٢)</sup>  
وكشاهد على ذلك فهاك ما قاله ابن الجوزي المتوفى ٥٩٧ هـ ماذا وقد  
كان ابن الجوزي تابع الغزالي وتأثر به في نقد علم الجدل فسكن بما

(١) الغزالي : بداية الهداية ص ٤٤ وراجع أيضاً الأحياء ج ٢ ص ٣٢٩ .

(٢) المالكى : الكفاية شرح لبداية ص ١٥ .

قاله : ومن تلبس إبليس على الفقهاء . أن جل اعتمادهم على تحصيل علم الجدل ويطلبون بزعمهم تصحيح الدليل على الحكم والاستنباط لدقائق الشرع وعلل المذاهب ولو صحت هذه الدعوى فيهم لتشاغلوا بجميع المسائل وإنما يتشاغلون بالمسائل الكبار ليتسع فيها الكلام فيتقدم المناظر بذلك عند الناس في خصام النظر ، فهم أحدهم بترتيب المجادلة والتفتيش على المناقضات طلبا للمفاخرات والمباهاة وربما لم يعرف الحكم في مسألة صغيرة تعم بها البلوى<sup>(١)</sup> .

١٢ — أنكر الغزالي تحريم السماع محتجا على ذلك بأن تحريمه لا يدل عليه نص ولا قياس وقال : لا وجه لتحريم سماع صوت طيب فاذا كان موزونا فلا يحرم أيضا وإذا لم يحرم الآحاد فلا يحرم المجموع فان أفراد المباحات إذا اجتمعت كان المجموع مباحا . وأضاف بأنه ينظر فيما يفهم من ذلك فان كان فيه شيء محظور حرم نشره ونظمه وحرم التصويت به .

وقد انتقد ابن الجوزي الغزالي في ذلك فقال وإنى لأعجب من مثل هذا الكلام فان الوتر بمفرده أو العور وحده من غير وتر لو ضرب لم يحرم ولم يطرب فاذا اجتمعا وضرب بهما على وجه مخصوص حرم وأزعج وكذلك ماء العنب جائز شربه وإذا حدثت فيه شدة مطربة حرم وكذلك هذا المجموع يوجب ضربا يخرج عن الاعتدال فيمنع منه لذلك<sup>(٢)</sup>

(١) ابن الجوزي : تلبس إبليس ص ١١٩ .

(٢) ابن الجوزي : تلبس إبليس ص ٢٤٥ .

١٥ - عقد الغزالي فصلا عن أصناف المغرورين ، وبين أنهم أصناف : صنف اغتر بالعلم وهم فرق ، وآخرون بالعبادة والعمل وهم فرق وفريق ثالث بالتصوف وهم فرق وفريق رابع اغتر بالمال وهم فرق<sup>(١)</sup> وقد كان هذا الفصل هو الملمهم الأول والأخير لابن الجوزي لتأليف كتابه المسعى تلميس إبليس بل إن ابن الجوزي لا فضل له حتى في اختيار اسم الكتاب إذ الكتاب أصلا من مقترحات الغزالي فقد قال في الأحياء : وسنذكر جملة من مكائد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع ( وهو فصل أصناف المغرورين الذي أشرت إليه هنا ) . وأضاف الغزالي ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه ( تلميس إبليس ) فإنه قد انتشر الآن تلميسه في البلاد والعباد لا سيما في المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها.<sup>(٢)</sup>

ليس ذلك لحسب بل أن ابن الجوزي وهو يكتب عن عنون لهم الغزالي ووعد بتأليف كتاب تلميس إبليس عنهم لم يجد قيد شعرة عن الغرور الأساسي الذي انتقده الغزالي على هذا الفرق بل كان أحيانا يستعمل نفس أسلوب الغزالي .

وللتمثيل على ذلك أضع أمامك نصوصا تتصل بموضوعنا بعضها للغزالي والآخر لابن الجوزي وبالمقارنة ستدرك التلمذة الفكرية التي

(١) الغزالي : الأحياء ج ٣ الصفحات ٣٣٤ - ٣٥٦ .

(٢) الغزالي : الأحياء ج ٣ ص ٢٦ سطر ١٢ .

يدين بها ابن الجوزى للغزالي مما يجعله في مصاف تلاميذ الغزالي إن لم يكن يتصدرهم ويتقدمهم.

(أ) ١ — قال الغزالي : و فرقة غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وإن تم تكبيره فيه يكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في أول الصلاة ثم يغفلون في جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم ويفترون بذلك ويظنون أنهم إذا اتبعوا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم<sup>(١)</sup>

٢ — قال ابن الجوزى : ومن ذلك تلبيسه عليهم في نية الصلاة فمنهم من يقول أصلي صلاة كذا ثم يعيد هذا ظنا منه أنه قد نقض النية والنية لا تنقض وإن لم يرض اللفظ ومنهم من يكبر ثم ينقض ثم يكبر ثم ينقض فاذا ركع الإمام كبر الموسوس وركع معه — فليت شعري ما الذي احضر النية حينئذ وما ذاك إلا لأن ابليس أراد أن يفوته الفضيلة<sup>(٢)</sup> ومن الموسوسين من إذا صحت له النية وكرر ذملا عن باقي صلاته كأن المقصود من الصلاة التكبير فقط وهذا تلبيس يكشفه أن التكبير يراد للدخول في العبادة فكيف تهمل العبادة وهي كالدار ويشغل على الآثاغل

(١) الغزالي : الاحياء ج ٣ ص ٢٤٥ .

(٢) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ص ٢٧ — ١٢٨

## بمَنْظَرِ الباب (١)

(ب) ١ — قال الغزالي : لما أفضت الخلافة : إلى أقوام تولوها  
 بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام اضطروا إلى  
 الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في  
 مجاري أحكامهم وكان قد بقي من علماء النايغين من هو مستمر على  
 الطراز الأول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف  
 فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا فاضطر الخلفاء إلى الالتجاء في  
 طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء  
 وإقبال الأئمة والولاة عليهم مع إغراضهم عنهم فاشترأبوا الطلاب العلم  
 توصلاً إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فأكبوا على علم الفتاوى  
 وعرضوا أنفسهم على الولاة وتعرفوا إليهم وطالبوا الولايات والصلوات  
 منهم فمنهم من أنجح .. وقد كان أكثر الإقبال في تلك الأعصار على علم  
 الفتاوى والافضية لشدة الحاجة إليها في الولايات والحكومات ثم ظهر  
 بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد  
 ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها فعلت رغبته إلى المناظرة والمجادلة في  
 الكلام فأكب الناس على علم الكلام .. ومالت نفسه في الفقه .. فترك  
 الناس الكلام . وفنون العلم وانتالوا على المسائل الخلافية (٢)

(١) ابن الجوزي : تلميس الميسر ١٣٩ ، وراجع المنتظم لابن الجوزي  
 ج ٩ ص ١٠٠ وفيات سنة ٤٨٩ وانظر ابن عباد الرندي : الرسائل الصغرى  
 طبع بيروت سنة ١٩٥٧ م ص ٨٧ — ٨٩ .  
 (٢) الغزالي : الاحياء ج ١ ص ٢٧ — ٣٨ .

٢ - وقال ابن الجوزى . كان علماء السلف يبعدون عن الأمراء .  
لما يظهر من جهودهم فتطلبهم الأمراء لحاجتهم اليهم في الفتاوى والولايات  
فنشأ أقوام قويت رغبتهم في الدنيا فتعلموا العلوم التي تصلح للأمراء  
وحملوها اليهم لينالوا من دنياهم ويدلك على أنهم قصدوا بالعلوم الأمراء  
أن الأمراء كانوا قديما يميلون إلى سماع الحجج في الاصول فظهر الناس  
علم الكلام ثم مال بعض الأمراء إلى المناظرة في الفقه فمال الناس إلى  
الجدل<sup>(١)</sup>.

#### الخلاصة

هذا هو الغزالي الفقيه وذلك هو أثره ودوره في الفقه ولعلك توافقني .  
في أنه إذا لم يشتهر بالحكمة والتصوف وعلم الكلام لاشتهر بالفقه فان  
الفقه كان الامر الذي اتجه اليه في صدر حياته العملية ولم يتركه حتى في  
حياة التصوف التي عاشها من بعد<sup>(٢)</sup> يدل على ذلك أنه ألف كتاب  
المستصفى في الفترة التي عاشها بعد حياة العزلة والعودة إلى التدريس  
بنظامية نيسابور ( ٤٩٩ - ٥٠٣ )<sup>(٣)</sup> على أنه من المناسب أن نذكر  
أن الغزالي بالرغم من أنه صرف فترة طويلة من حياته في الفقه كان  
لا يرضى أن يطلق عليه لفظ فقيه لكرهه لاهيته لما كان عليه الفقهاء آنذاك

(١) ابن الجوزى : تلبس إبليس ص ١٢٢ .

(٢) أبو زهرة : الغزالي الفقيه ص ٥٢٧ .

(٣) الغزالي : المستصفى ج ١ ص ٣ - والسبكي : الطبقات ج ٢ ص ٢٥٩

وابن الاثير : اللباب في تزيين الانساب ج ٢ ص ١٧٠ طبع القاهرة

سنة ١٣٥٦ هـ .

من الحسد والتماقص والرياء والتكبر ومحبة السلاطين وما إليها من ناحية<sup>(١)</sup> وانصرفهم عن علوم الآخرة وإعراضهم عنها من ناحية أخرى يروى أن الجويني أستاذ الغزالي قال يوماً للغزالي : ( يا فقيه فرأى في وجهه التغيير )<sup>(٢)</sup>

هذا وأثر الغزالي لم يقتصر على ما ذكرنا في تكييف حياة الأشخاص وإدارة حياتهم على منهج خاص ووفق تعاليم معينة بل تعدى دوره الأشخاص إلى المجتمع فهزه هزاً عنيفاً صفي به ماخالطه قليلاً من أدران ومالصق به من ظلمات وحجب بفعل المدارس الفكرية المختلفة التي لعبت دورها في المبكر قبله فكثفت عليه الرؤية إن لم تكن غطتها وسيرته وفق ماتشاء هي لا ما يشاء الحق حتى اختلطت عليه الأمور وتضاربت لديه الآراء فصار لا يميز بين الحق والباطل أو قل صار لا يقيم وزناً للحق بقدر ما يقيم كبير وزن الرجال الذين يتبع مدارسهم ويقتفي خطاهم وينتسج مناهجهم .

ولقد جاء الغزالي في فترة سيطرت فيها الماديات على التفكير وانزوت فيها الروحانيات من المسرح ، وصار المظهر العام للدين هو المظهر المادي سواء في العبادات أو المعاملات فالصلاة مثلاً في عصر الغزالي تصح إذا أتى فيها الشخص بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط وإن كان غافلاً

---

(١) العاكبي : الكفاية شرح بداية النهاية ص ١٥٠ - ١٥١ ، ١٠١ ،  
 ١١٤ والغزالي : بداية الهداية والاحياء وابن الجوزي تلميس لميليس .  
 (٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٥٩ .



فى جميع صلاته من أولها إلى آخرها مشغولاً بالتفكير فى حساب معاملاته فى السوق إلا عند التكبير<sup>(١)</sup> ومثل الصلاة فى ذلك الزكاة والحج والجهاد والقضاء وغيره من بقية العبادات والمعاملات . وكنت إذا سألت فقيها عن معنى خارج من نطاق الظاهر كالأخلاق مثلاً أو سألته عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فى ذلك مع أنه فرض عينه الذى فى إهماله هلاكه فى الآخرة أما لو سألته عن معنى من معانى الظاهر كاللعان والظهار والسبق والرمى وغيرها مما يدخل تحت العبادات والمعاملات والعادات لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التى تنقضى الدهور ولا يحتاج إلى شئ فيها ، وإن احتيج لم تحل البلد من يقوم بها ويكفيه مثونة التعب فيها وكان لا يزال يتعب فى حفظها ودرسها ويفعل عما هو مهم نفسه فى الدين وإذا روجع فيه قال اشتغلت به لأنه علم الدين وفرض الكفاية وربما استدل بقوله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيراً يققه فى الدين ، وناسياً أو متناسياً أن الحديث إن صح فتنفسيره لمعنى النقه لا يصح لأن المراد بانقته فى العصر الأول هو علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بمقاراة الدنيا وشدة التطلع إلى نعم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب<sup>(٢)</sup> دون تفريعات الطلاق والعقاق واللعان والسلام

(١) الغزالي : الإحياء ج ١ ص ١٧ وانظر ابن الجوزى : المنتظم

ج ١٠٠ ، ٩٠

(٢) الغزالي : الإحياء ج ١ ص ٣٨

والاجارة فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام .  
يقسى القلب وينزع الخشية منه <sup>(١)</sup> .

ولقد ساعد الفقهاء على سلوك هذا السبيل واختيار هذا الطريق  
ما يأملون في سلوكه من تقرب للسلطان واستيلاء على المناصب العالية .  
والأمكنة السامية مما يدر عليهم دخلا وفيراً <sup>(٢)</sup> وشهرة واسعة لا يحصلون  
عليها إذا ما سلكوا طريق الزهد وترك الرياء والإخلاص في العبادات  
والعاملات مع تجنب لكل آفات القلوب وأمراضها وحييل النفوس .  
وخداعها واستدراجها <sup>(٣)</sup> .

أما الصوفية الذين عاصروا الغزالي ، أو قل : أما من آثروا جانب  
الروحيات على الماديات في عصره فكانوا بالرغم من قلة عددهم مجالا  
خصباً وقع فيه أصحاب الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى .  
والوصال المغنى عن الأعمال الظاهرة حتى انتهى قوم إلى دعوى الاتحاد  
وارتفاع الحجب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب <sup>(٢)</sup> . . . وترك جماعة  
من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوى لما فيها من البطالة  
التي يستأزمها الطبع والتي قد تصاحبها كلمات مخبطة مزخرفة <sup>(٤)</sup>

وكنت إذا سألتهم أو أنكرت عليهم لم يعجزوا أن يقولوا هذا

(١) الغزالي : الإحياء ج ١ ص ٢٨

(٢) الغزالي الإحياء ج ١ ص ٣٧ .

(٣) الغزالي الإحياء ج ١ ص ١٩ وقارن ابن الجوزي المنتظم ج ١

ص ١٤٧ — ١٤٨ .

(٤) الغزالي الإحياء ج ١ ص ١٩ . (٢) الغزالي الإحياء ج ١ ص ٣٣ .

إنكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفه نور الحق<sup>(١)</sup>.

أخلص من ذلك إن أن كلا الفريقين السابقين عصرا الغزالي وأثرا في الحياة الفكرية والاجتماعية حتى شب فريق أشرب قلبه عن جهل كراهية الفقهاء أهل الظاهر وشب آخرون أشربت قلوبهم عن جهل كراهية التصوف أهل الباطن وعلى هذا بعدت الشقة بين الفريقين وتوسعت الهوة بين الجانبين وتأصلت الكراهية بين الطائفتين، كل ينسب الآخر لغير سلوك الطريق المستقيم ويأنف أشد الأنف من أى يسير ولو إلى الله يوم الحشر بصحبته لأن جانبهم في نظر غيره مأمون والسير معهم خطر<sup>(٢)</sup>.

كان ولا بد، والحال كما، وصفنا أن يلتفت الغزالي لهذا الجانب ويوليّه عنايته واهتمامه ويزيل من أذهان الفقهاء وتابعيهم ما وصموا به التصوف ومن أذهان الصوفية وتابعيهم ما وصموا به الفقه، ويرد الجميع إلى المنبع الثر والمصدر الأصلي الذى ينادى بأداء العبادة الصحيحة فى الظاهر مع أدائها كاملة تامة فى الباطن، ذلكم هو القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة، وقد فعل الغزالي ذلك وكرس جهده لإظهاره وتبيينه فلم تلبث تعاليمه أن أثمرت فى قالب المفهومات القديمة إلى ما كانت عليه سابقاً فى العصر الأول فلم يعد الفقه ذلك العلم الذى يعنى بالظاهر

(١) الغزالي الاحياء ج ٢ ص ٢٢

(٢) كرون النبوع المغربى ص ١٢٠

ولم يعد التصوف ذلك النش الذي يهتم بالباطن ويهمس للظاهر بل تصاحب الفقه والتصوف وتصالحا وتسالما ليخدما غرضاً واحداً أرادته القرآن من المؤمنين وهدفاً معيناً طلبه الله من العبد وعبرت عنه آيات كثيرة من بينها « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين » (١) .

والدارس المقارن يلاحظ مدى الأثر العميق الذي أحدثته الغزالي في الفكر بشأن التصوف، فالطرق الصوفية مثلاً - كما ذكرت - لم تبدأ إلا بعد الغزالي بل إن الأسماء المشهورة اللامعة كان معظمها في الفترة التي أعقبت الغزالي لا في الفترة التي سبقتة ، وإن كان لي أن أشير إلى كتاب خاص تسهل به المقارنة فلا بأس أن أشير إلى كتاب شذرات الذهب لابن العماد وهو كتاب يقوم تاريخه على التدرج السنوي مما يسهل على الباحث الدارس عملية المقارنة بين الفترة السابقة للغزالي والفترة التي أعقبته ، ولقد تعمدت في بعض بحثي هنا أن أشير إلى عدد من الأسماء الصوفية اللامعة لترى كيف أن الغزالي قد أثمرت مجهوداته في هذا الميدان ونجحت مساعيه في إنقاذه من الهوة التي كان ربما تردى فيها لولاه أو قل من الهوة التي ربما تردى فيها الفريقان لولا الغزالي وتعاليمه .

---

( ) فارن الاحياء ج ١ ص ١٠٨ دير حنا قبر : الغزالي ج ١ ص ١٥  
والغزالي : الكفاية شرح البداية للغزالي طبع القاهرة ١٨٧١ م ص ١٥٦  
واحمد أمين : ظهر الاسلام ج ٢ .

## الفصل السادس

### دور الغزالي في الفكر بصفة عامة

الغزالي — كأرسطو — عالم من أعلام الفكر الإنساني الذين بلغوا في حياتهم وبعد مماتهم أرفع مكانة بين الناس ، ومن ثم كان طيباً أن تتماون الحقيقة والأسطورة معاً على نسبة حشد هائل من الكتب إليه حتى ليقول السبكي أن مؤلفاته قسمت على أيام حياته فخص كل يوم أربعة كرايس .

وقد عني العلماء الباحثون منذ منتصف التاسع عشر حتى الآن بدراسة هذه المؤلفات توطئة لتمييز الصحيح منها والمفحول .

— وكان أول من بدأ البحث في هذا الجانب د . جوسنه . ثم أعقبه كل من مكده نالد وأغناطيوس جولدمهير وجيردز ، ثم ندام سين بلاثيوس ، ومونتجمري ، وجورج حوراني ، وموريس بويج وميشيل الارف ثم عبد الرحمن بدوي .

وقد كان عمل بعض هؤلاء المذكورين مزووجاً إذ حاولوا ترتيب كتب الغزالي تاريخياً بالإضافة إلى ماأشرنا إليه من محاولة تمييز أحقية نسبة الكتب للغزالي .

وكان أهم ما تناوله الغزالي في هذه المؤلفات العربية منها والفارسية ما يأتي :

- ١ — الفقه وأصوله .
- ٢ — الرد على الباطنية .

٣ - المنطق والفلسفة والرد على الفلاسفة .

٤ - علم الكلام<sup>(١)</sup> .

٥ - التصوف .

٦ - دراسات أخرى متفرقة .

ولما كان الغزالي متبحراً في كل فن من هذه الفنون<sup>(٢)</sup> التي تعرض إليها فقد اعتبرت كتيبه عمدة ذلك الفن ، فالشافعية مثلاً بنوا كثيراً من آرائهم الفقهية على ما قرره الغزالي في البسيط والوسيط والوجيز وكذلك فعل الأشعرية والمتصوفة بل إن بقيمة الفرق الإسلامية انتفعت بكتبه في الأصول والفلسفة والمنطق . وكان السائد الراجح عند الجميع كما يصوره العيدروس أنه لا شيء أتع للقلب وأقرب إلى رضا الرب من متابعة الغزالي ومحبة كتيبه فإن كتب الإمام الغزالي لباب الكتاب والسنة ولباب المعقول والمنقول<sup>(٣)</sup> يقول :

هكذا أجمع العلماء العارفون بالله<sup>(٤)</sup> . ورأينا في الفصول السابقة أن انتفاع خصومه الفسكريين<sup>(٥)</sup> لم يكن أقل من انتفاع أنصاره ومؤيديه كيف بل لقد بلغ من إعجاب الناس بكتبه أن ذكروا أن رسول الله

(١) رى السبكي أن ليس للغزالي أى كتاب في علم الكلام مع ان له لإجمام العوام والاقتصاد في الاعتقاد ولا أرى كيف فانت عليه هذه الكتب .

(٢) الإحياء ج ١ ص ٢٦ والمنقذ .

(٣) العيدروس : تعريف الإحياء بفضائل الإحياء ( هامش إسياء علوم الدين للغزالي ص ١٧ : ) .

(٤) نفسه ١٧

(٥) راجع ابن الجوزي : تلخيص إبليس .

صلى الله عليه وسلم نفسه أعجب بها أكثر من إعجابه بكل كتب  
أئمة المذاهب المشهورين<sup>(١)</sup>.

وقد كان من الطبيعي وشهرة الغزالي كما ذكرنا وأثره كما أشرنا  
أن نجد كتبه إقبالا منقطع النظير من جميع الطوائف الإسلامية في مختلف  
الأقطار على اختلاف الأزمنة وتباعداتها<sup>(٢)</sup>. حتى ليقول عنها بعضهم .  
كاد الإحياء أن يكون قرآنا<sup>(٣)</sup> ويقول فريق آخر من أراد طريق

(١) ابن عساكر: تبين الكذب ص ٣٠٤

(٢) الخرجي، العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٨٠، ٨٢، ٢٩، ٣٥٠،  
٢٦٢، ٤١١، ٤٣٢، ٤٣٩، ٤٤٠، الغزالي: الدرر مخطوط ص ١ مجموعة  
اسمها طبقات الفقهاء بالمتحف البريطاني، والسبكي. طبقات الشافعية ص ٤٢،  
٢٣٦، ٣٥، ١٥٥، ٦٠، ٤٥، ٤٦، ٥٠، ٤٧، ١٧٧، ٧٨، ٢٤٠،  
١٢٩، ١٣٠، وج ٤ ص ١٩٠ - ١٩١، ١٩٧، ١٩٨، ج ٤ ص ٥٧،  
وج ٦ ص ٦٨، ٢٢، ١٤٣، ٢٤٢، ٣٤٢، ٨٣، ١٠٦ وصلة الصلاة وهو ذيل  
للمصلة لابن بشير وال في تراجم أعلام الأندلس القسم الأخير ص ٣٥، ٣٦،  
١٩٣ - ١٩٤ طبع الرباط سنة ١٩٣٨ م وطاشكبرى زاده مفتاح السعادة  
ص ٤٤٥ - ٤٥١ رقم ١٩٧ تحت علم التفسير: شذرات الذهب ج ٦ ص ٤٤  
٢٧، ٧٥، ٧٦، وص ٢٤٩، وج ٤ ص ٦١، ٦٢، ١٥١، ٢٨٨، وج ٥  
ص ٢٠٣، ٢١٠، ٢٢٠ وحسن المحاصرة ج ١ ص ٢٣٩، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٤،  
٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١ والدرر السكينة ج ١ ص ٣٠٤، والادفوى:  
الطالع السعيد الجامع لآسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ص ٦٤

(٣) الميبدروس: تعريف الأحياء بفضائل الإحياء هاشم إحياء علوم  
الدين ج ١ ص ١٥ وهناك طبعة مستقلة لنفس الكتاب ص ٧ طبع القاهرة  
١٢٨٧ / ١٩٦٨ م. الميبدروس: تعريف الأحياء بفضائل الإحياء هاشم إحياء  
علوم الدين للغزالي ج ١ ص ١٧ - ١٨

الله وطريق رسول الله وطريق العارفين بالله وطريق العلماء بالله أهل.  
الظاهر والباطن فعليه بمطالعة كتب الغزالي خصوصاً لإحياء علوم الدين.  
فهو البحر المحيط<sup>(١)</sup>.

ولقد بلغ الإعجاب والتقدير لكتب الغزالي أن حفظوا بعضها  
عن ظهر قلب وتسموا بأسمائها<sup>(٢)</sup> وكتبوها بماء الذهب واعتبروها  
مقياساً للفهم والثقافة<sup>(٣)</sup>، ويراسل منها الأدباء في نثرهم<sup>(٤)</sup> وشعرهم<sup>(٥)</sup>.  
بل قسمها البعض ثلاثين جزءاً كالقرآن وما يتلوها بدلا عنه  
في رمضان<sup>(٦)</sup>.

---

(١) العيدروس : تعريف الأحياء بقضائل الأحياء هامش إحياء علوم  
الدين للغزالي ج ١ ص ١٥ والخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٤٠  
وطاشكبري زاده : مفتاح السعادة ج ٢ ص ٥٠ ؛ ٥١ وابن الهيثم : شذرات  
الذهب ج ٥ ص ١٤٤ ؛ ١٤٥ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ وابن حجر : الدرر الثامنة ج ١  
ص ١٠ رقم ١٢ ، ج ١ ص ٢٤٣ ، رقم ٦٢٦ ، ج ٤ ص ٢٤٣ رقم ٦٥٢  
والسبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص ٧٥ ؛ ١٢٩ ، ١٣٠  
(٢) السيوطي : حسن المحاضرة ١/ ٢٤٠ والسبكي طبقات الشافعية الكبرى.  
١٤٨/٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٣) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة طبع مصر سنة ١٩١٤ ؛  
١/ ٣٧٥ ، ٢٧٦ والسبكي طبقات الشافعية ٥ ، ٧٥ ، ١٤١ ، ١٤٢ .

(٤) السبكي طبقات الشافعية الكبرى ٦ / ٦

(٥) وفاة الوفيات ١ / ٣٨٠

(٦) كنون ، النبوع المغربي في الأدب العربي ١ / ٧



## ١ — إحياء علوم الدين :

لقد كان الإحياء المشار إليه في معظم البصوص التي ألمعنا إليها أعظم وأكبر كتاب ألفه الغزالي بعد اعتزاله التدريس في نظامية بغداد وهو وإن كان كتاباً صوفياً<sup>(١)</sup> إلا أنه ألفه على نمط النظم المستدرج به معاصروه من أولعوا بالفتنة وشغفوا بكتبه<sup>(٢)</sup> مثله في ذلك مثل كتابه الصوفي (منهاج العارفين) الذي ألفه على النمطين الفقهي<sup>(٣)</sup> والنحوي<sup>(٤)</sup> لمراعاة أحوال المخاطبين. حظى هذا الكتاب خاصة وكتب الغزالي عامة بتمسك وافر من الشروح والاختصارات والنقد. ولما كنت بصدد الحديث عن تأثير الغزالي في الفكر أرى من المناسب أن أشير في إيجاز ما خص به من شروح واختصارات ونقد ورد :

١ — محمد الغزالي (توفي ٥٠٥ هـ — ١١١١ م) : الاملاء على مشكل الإحياء مطبوع<sup>(٥)</sup>.

٢ — أحمد الغزالي (توفي ٥٢٠ هـ) : لباب إحياء علوم الدين مطبوع القاهرة ١٣٢٨ هـ<sup>(٦)</sup>.

(١) الغزالي ، إحياء علوم الدين ١/٤

(٢) الغزالي ، منهاج العارفين ص ٢ فما بعدها وراجع السبب في نسبة

الكتاب للغزالي في بدوى مؤلفات الغزالي ص ٢٤٨/٢٥٠ رقم ٧٧

(٣) الغزالي : المصطفى . من علم الأحوال ص ٤ طبع مصر سنة ١٣٣٠ هـ

(٤) الغزالي : منهاج العارفين ص ٣٠٢ وراجع الشك في نسبة الكتاب للغزالي

في عبد الرحمن بدوى مؤلفات الغزالي رقم ٧٧ ص ٢٢٨ — ١٥٠

(٥) بدوى : مؤلفات الغزالي ص ١٢ ، ٢١٧ وحاجى خليفة : كشف الظنون

ج ٨ عمود ٢٤ (٦) بدوى مؤلفات الغزالي ص ٤ ١ والسبكي طبقات

الشافعية الكبرى ج ٤ ص ٥٤ — ٥٥

— ١٦٨ —

- ٣ — ابن عمر المازرى (توفى ٥٣٦ — ١١٤١ م) السكشفي  
والأنباء عن المترجم بالأحياء مجهول السنة<sup>(١)</sup>.
- ٤ — يوسف اليميني (توفى ٥٥٨ هـ) : روح الأحياء مخطوط.
- ٥ — محمد اليميني (توفى ٥٩٥ هـ) : مختصر الإحياء.
- ٦ — ابن الجوزي (توفى ٥٩٧ هـ — ١٢٠٠ م) منهاج القاصدين  
مخطوط. إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء.
- ٧ — أحمد الموصلي (٦٢٢ هـ) مختصر الإحياء.
- ٨ — أحمد الموصلي مختصر الإحياء (أصغر من الأول).
- ٩ — مجهول المؤلف (٦٣٣ هـ) ترجمة فارسية للأحياء في عهد  
السلطان التمشي ووزيره الجنيدى<sup>(٢)</sup>.
- ١٠ — محمد الخوارزمي (توفى ٦٧٩ — ١٢٨٠) : روح الأحياء  
مخطوط<sup>(٣)</sup>.
- ١١ — ابن تيمية (توفى ٧٢٨ هـ) : قاعدة في الرد على الغزالي في  
التوكل<sup>(٤)</sup>.
- ١٢ — أحمد المقدسي (توفى ٧٥٢ — ١٣٥١) : المخلص مطبوع  
بدمشق سنة ١٣٤٧ هـ<sup>(٥)</sup>.

- 
- (١) بدوى : مؤلفات الغزالي ص ١١٤
  - (٢) بدوى : مؤلفات الغزالي ص ١١٩
  - (٣) بدوى : مؤلفات الغزالي ص ١١٥
  - (٤) بدوى : مؤلفات الغزالي ص ١١٤
  - (٥) بدوى : مؤلفات الغزالي ص ١١٤ — ١١٥

١٣. — عبد القادر العيدروس توفي ١٠٣٨ — ١٦٢٨ تعريف الأحياء  
بفضائل الإحياء .

١٤. — مجهول المؤلف : رسالة عن بعض فضائل الإحياء .

١٥. — السيوفى : تشييد الأركان فى ليس فى الامكان أبدع مما كان .

١٦. — مجهول المؤلف رسالة فى الرد على من اعترض على الغزالى  
فى المسببات . . . على الأسباب .

١٧. — مجهول المؤلف : الأجوبة المسكتة عن الأسئلة المبكتة على  
مشكل الإحياء .

هذا والكتاب غير ما ذكرت شروح واختصارات ونقد  
يمكن مراجعتها لمن أراد التوسع فى المصادر المذكورة أدناه :  
(ب) جواهر القرآن مطبوع (٥) :

١ — لم يخدم هذا الكتاب كما خدم سابقه خاصة فى القرنين الثالين  
لوفاة الغزالى ، أما فى القرن الرابع لوفاته فقد ألف قاسم الحنفى السودانى  
(٨٠٢ هـ — ٨٧٩ هـ) كتاباً فى تخريج أحاديث جواهر القرآن أشار إليه  
الشوكانى فى البدر الطالع<sup>(٣)</sup> .

(١) حاجى خليفة ، كشف الظنون ١٣ عمود رقم ٢٤ والشوكانى :  
البدر الطالع ج ٢ ص ٤٤ ، ٤٦ والسيوطى : حسن المحاضرة ج ١  
ص ٢٠٤ — ٢٠٥

(٢) بدوى ، وثائق الغزالى .

(٣) الشوكانى : البدر الطالع ج ٢

(ج) كيهياء السعادة مطبوع (١) :

هو كتاب باللغة الفارسية لا يختلف كثيراً عن كتاب الإحياء بل إن المرتضى يقول أن الغزالي ترجم في هذا الكتاب كتابه الأحياء<sup>(٢)</sup> وقد عدّه الغزالي من بين الكتب الوسيطة التي ألّفها عن التصوف<sup>(٣)</sup> ويبدو أن الكتاب على أهميته لم يحظ بالعناية التي حظي بها الأصل المترجم عنه أو الإحياء إذ لا يكاد يجد الباحث دراسة أو اهتمام به إلا في الأزمنة المتأخرة حيث ترجم إلى التركية (سنة ١٠٠٠ هـ) وإلى الإنجليزية بواسطة الباني في نيويورك ٨٧٣م<sup>(٤)</sup>.

(و) البسيط في الفروع :

والكتاب ما يزال مخطوطاً حتى الآن وهو يدور حول الفقه الشافعي فيتناول بالدراسة عديداً من القضايا الفقهية التي اعتاد الفقهاء طرقها من مثل السبق والرمي والنذور والقضاء والشهادات والدعاوى والعقود والولاء والكتابة وعقود الأمهات والقصاص والجنايات . غير أنه ببسط القول فيها بسطاً يستدعي من دراسة همة عالية ونية مجردة عما عدا العلم إذ أودع فيه مادة غزيرة استغرقت ستة أجزاء كاملة أن لم يكن في أكثر من ذلك<sup>(٥)</sup>.

(١) بدوى : مؤلفات الغزالي ص ١٧٢ - ١٧٨

(٢) بدوى : مؤلفات الغزالي ص ١٧٨ .

(٣) الغزالي . المستصفى ج ١ ص ٤ .

(٤) بدوى : مؤلفات الغزالي : ص ١٧٥ .

(٥) عبد الرحمن بدوى مؤلفات ص ٩ فما بعدها .

### (هـ) الوسيط :

لما رأى الغزالي المهم في طلب العلوم قاصرة والآراء في تحصيلها فاترة .  
وعلم أن الفوز إلى حد المهم حتم وأن تقدير المطلوب على قدر همه .  
الطالب حزم ، صنف هذا الكتاب ليكون وسطا بين البسيط الذي هو  
داعية الاملال والوجيز الذي هو داعية الإخلال .

### (و) قواعد العقائد :

دى في الأصل قسم من كتاب الإحياء<sup>(١)</sup> غير أنها أفردت منذ  
عهد الغزالي في كتاب خاص عرف بهذا الاسم وهي تتناول بالدراسة  
عقيدة أهل السنة .

يبدؤها المؤلف في الفصل الأول بدراسة كالمقى الشهادة التي هي  
إحدى مباني الاسلام ، ويتناول في الفصل الثاني وجه التدرج إلى الإرشاد  
وترتيب درجات الاعتقاد .

وفي الفصل الثالث يتحدث عن الأركان الأربعة التي ينبني عليها  
الايان رهى معرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ومعرفة السمعيات  
وبعد ذكر هذه الأركان الأربعة يقسم كلا منها إلى عشرة فصول :

أما في الفصل الرابع فيتناول بالدراسة الايمان والاسلام وما بينهما  
من اتصال والانفصال وما يتطرق إليه من الزيادة والنقصان ووجه  
استثناء السلف فيه ويلخص ذلك تحت ثلاث مسائل ، وبانتهاء هذه المسائل  
وما تفرع منها ينتهى الكتاب .

---

(٢) راجع إحياء علوم الدين ١ ص ٧٩ ، ١١١ .

- ١٧٢ -

تلك بعض نماذج من مؤلفات الغزالي ودراسها بل ودراسة غيرها  
من كتبته مما لم يسعني الوقت بتسجيلها على أن من أراد التوسع في  
البحث فعليه أن يرجع إلى المراجع المختلفة التي أشرت إليها في هذا  
الكتاب .

(تم بحمد الله)

## ثبت بالمراجع

الخطاط :

- المسهودي : مروج الذهب .
- أحمد أمين : ضحى الإسلام .
- الغزالي : القسطاس المستقيم .
- الغزالي : في سبل التفرقة بين الإسلام والزندقة ضمن مجموعة القصود الغزالي من رسائل الإمام الغزالي .
- الدكتور فتح الله خليف : نثر الدين الرازي .
- الشيخ محمد أبو زهرة : الغزالي الفقيه - أبو حامد الغزالي في الذكرى المئوية التاسعة لميلاده بمجموعة أبحاث نشرت بدمشق سنة ١٩٦١ .
- عبد الرحمن بدوي : مؤلفات الغزالي .
- الخزرجي : العقود اللؤلؤة .
- ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة .
- الادفوى : الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد .
- الغزالي : الوجيز - طبع القاهرة سنة ١٣١٧ هـ / ١٨٩٩ م مطبعة المؤيد في جزأين .
- الفاكهي : شرح بداية الهداية للغزالي مخطوط بالمتحف البريطاني وقد طبع الكتاب بمصر سنة ١٢٩٦ هـ .
- أبو شامة المقدسي : تراجم رجال القرنين المعروف بالذيل على الروطبتين طبع ١٢٩٦ هـ / ١٩٤٧ م .
- ابن تيمزي : النجوم الزاهرة .
- أحمد أمين : ظهر الإسلام .
- الدكتور عبد الوهاب عزام : سوانح أحمد الغزالي - مجلة كلية الآداب العدد

الثامن - المجلد الثاني - ديسمبر سنة ١٩٤٦ مطبعة جامعة فؤاد الاول

سنة ١٩٤٧ .

ابن شاكر : فوات الوفيات .

الغزالي : الرسالة القدسية

الغزالي : الرسالة الوعظية

ابن خلدون : المقدمة

الغزالي : تهافت الفلاسفة .

الغزالي : المستصفى من علم أصول الفقه .

المقريزي : الخطوط — طبع بولاق .

ابن الجوزي : تليدس لبليس

الدكتور فوقيه حسين محمود : الجويني امام الحرمين .

الغزالي : المنقذ من الضلال .

السيوطي : حسن المحاضرة

ابن عساكر : تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبو الحسن الاشعري .

ابن خلكان : وفيات الاعيان — تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

القلقشندي : صبيح الاعشى .

محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين

الرابع والخامس بعد الهجرة طبع دار الفكر العربي سنة ١٩٤٦

ابن النديم : الفهرست .

فخر الدين الرازي : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين — تبصرة العوام .

محمد بن مالك : أسرار الباطنية وأخبار القرامطة طبع مصر سنة ١٩٣٩ م .

ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر

ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر .

العثمان : سيرة الغزالي .

عبد اللطيف الطيار : التصوف العربى .



— ١٧٥ —

ابن العباد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب .

الاصفهانى : تواريخ آل سلجوق .

ابن الجوزى : هـ - محمد الرحمن بن على بن محمد بن على بن الجوزى المتوفى

سنة ١٣٥٧ هـ .

المنتظم في تاريخ الملوك والامم القسم الثانى من الجزء الخامس

الطبعة الاولى مطبعة دائرة المعارف الثمانية بحيدر آباد الدكن

الدكتور عبد القادر محمود : الفسك الاسلامى والفلسفات المارضة فى القديم

والحديث طبع المطبعة الحكومية بالخرطوم ١٩٧١ قسم التأليف

والنشر جامعة الخرطوم .

القاضى النعمان بن محمد المتوفى سنة ٦٢٠ هـ - ٩٧٤ م تأويل الدعائم وتربية المؤمنين

بالتوفيق على حدود باطن الدين طبع دار المعارف بمصر ٩٦٩ م

قر كيانى : فى التصوف الإسلامى مفهومه وتطوره وأعلامه .

طله عبد الباقي سرور : شخصيات صوفية .

ألبير نصرى نادر : التصوف الإسلامى .

عبد الكريم الخطيب : نشأة التصوف .

عمر فروخ : ابن باجه والفلسفة المغربية .

الغزالي : مشكاة الأنوار .

الغزالي : الحكمة ومخلوقات الله عز وجل - روضة الطالبين وعمرة السالكين .

بروكلمان : تاريخ الادب العربى ، تريب الدكتور النجار - النبوع المغربى .

ان حزم : ملخص ابطال القياس والرأى والاستحسان والنقل يد طبع

دمشق سنة ١٩٦٦ م .

اليافعى : مرآة الجنان .

الغزالي : رسالة اللادنية

طا شكبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة .

الغزالي : ميزان العمل .

- الغزالي : الاقتصاد في الاعتقاد
- الغزالي : جواهر القرآن .
- الغزالي : الجامع العوام عن علم الكلام .
- عادل زعير : الغزالي ( معرب ) .
- ياقوت الحموي : معجم البلدان
- رينمان : ابن رشد والرشيدي .
- أبو جعفر أحمد بن الزبير : ذيل كتاب الصلة لابن بشكوال طبع الرباط  
سنة ١٩٣٨ .
- الشيخ محمد نوى الجاوي : شرح مراقى العبودية على بداية الهداية تم تأليفه .  
سنة ١٢٧٩ وطبع بالقاهرة سنة ١٨٨١ م .
- نفحات العناية بشرح بدايه الهداية .
- الغزالي : غاية النور في دراية الدور - مخطوط المتحف البريطاني
- موضوع في صدارة ١٨ كتاباً ليست للغزالي .
- الغزالي : رسالة أيها الولد - نشر توفيق الصباغ وله طبعة أخرى ضمن مجموعة
- القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي .
- ابن الصلاح : المنتقى من كتاب المذهب في ذكر شيوخ المذهب .
- السمعاني : الانساب .
- الذهب : سير أعلام النبلاء مخطوط نشر جزءاً منه الدكتور عبد الكريم الدثاني  
في كتابه سيرة الغزالي .
- حاجي خليفة : كنف الظنون عن أسامي السكيب والفنون .
- ابن النجار : تاريخ بغداد .
- أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلو للقاضي .
- أبي عبد الله يوسف المعروف بالهائم الجندی والكتاب المشار إليه
- مكتوب في آخر كتاب تاريخ اليمن لنجم الدين بن عمارة بن أبي الحسن
- على المنفى اليمني وهو ضمن مجموعة السكيب التي طبعت بلندن في مجلد

- واحد سنة ١٣٠٩ هـ وترجمها الى الانجليزية في سنة ١٨٩٣ .
- الغزالي : فضائح الباطنية وفضائل المستطهرية .
- القلمى : المقالات والفرق طبع طهران سنة ١٩٦٢
- بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية .
- البغدادى . الفرق بين الفرق .
- المجرجاني : شرح المواقف .
- الزبيدي : اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين .
- ابن الملقن : طبقات الشافعية مخطوط نشر جزأ منه الدكتور عبد الكريم العثمانى
- في كتابه سيرة الغزالي .
- الغزالي : المقصد الاسفى ، شرح أسماء الله الحسنى .
- الغزالي : معارج القدس .
- الغزالي : مشكاة الانوار .
- الشهرستانى : الملل والنحل .
- نشر كيلاى طبع الحلبي سنة ١٦٦١ م ولاسكتاب طبعة أخرى
- بهامش الملل والنحل لابن حزم طبع المطبعة الادبية الطبعة
- الاولى سنة ١٣١٧ .
- ابن الاثير : تاريخ ابن الاثير .
- ابن منظور : لسان العرب .
- طبعة مصورة عن طبعة بولاق المؤسسة العامة للتأليف والانتباء
- والنشر الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- الدكتور على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام .
- الاشعرى : مقالات المسلمين :
- كشف أسرار الباطنية والقرامطة
- الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المالى المتوفى سنة ٣٧٧ هـ . - كتاب التنبية

- والرد على أهل الأهواء والابديع طبع سنة ١٣٦٩ هـ .
- زكى مبارك : الاحلاق .
- السبكي : طبقات الشافعية .
- محمد كامل حنين : طائفة الإسماعيلية تاريخها نظمها عقائدها طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الاولى سنة ١٩٥٩ م .
- ابن جبير : رحلة ابن جبير
- الغزالي : إحياء علوم الدين
- الغزالي : إحياء العلوم الهداية .
- ابن تيمية : الصوفية والفقراء .
- الزهرراوى : الفقه والتصوف .
- الشرباصى : التصوف عند المستشرقين .
- الشيخ الحافظ التجانى : أهل الحق العارفون بالله السادة الصوفية ،
- السمورردى : عوارف المعارف .
- ان قتيبه : الاختلاف فى اللفظ والرد على الجمهور ، المشبهة .
- الذكور محمد غلاب : التصوف المقارن .
- ابن طفيل : قصة حى بن يقظان .
- القفى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء لبيسكى سنة ١٩٠٣
- ابن أبى أصيبه : طبقات الأطباء . مصر الطبعة الاولى سنة ١٨٨٩
- المقرى : نفح النايب من غصن الانداس الرطيب — مصر الطبعة الاميرية .
- دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام تعريب عبد الهادى أبو ربه — القاهرة سنة ١٩٣٨ م .
- دائرة المعارف الإسلامية
- الدكتور زكى مبارك : التصوف الإسلامى .

- ١٧٩ -

- الطوسي : اللمع .
- القشيري : الرسالة .
- عفيفي : التصوف الثورة الروحية في الإسلام .
- الدكتور سليمان دنيا : مفهوم التصوف — طبع سنة ١٩٦٠
- الفتح بن خاقان : قلائد العقيان — باريس سنة ١٢٧٧ هـ .
- الهيجوري : تحفة المريد على جوهرة التوحيد — طبع مصر سنة ١٣٥٤ هـ .

# محتويات الكتاب

## دور الغزالي في الفكر

صفحة	
٥	مقدمة
٩	الفصل الأول : ( ١ ) عصر الغزالي
١٧	( ب ) حياة الغزالي
٢٦	( ٢ ) ثقافة الغزالي
٦٤	الفصل الثاني : دور الغزالي في علم الكلام
	الفصل الثالث : الباطنية تاريخهم فلسفتهم مع الإلحاح
٨٨	إلى دور الغزالي
١١٢	الفصل الرابع : دور الغزالي في التصوف
١٢٤	الفصل الخامس : دور الغزالي في الفقه
١٦٣	الفصل السادس : دور الغزالي في الفسك بصفة عامة



